كنيسة القيامة

تاريخها ووصفها الحاضر

بقلم

الخوري ثاوفانس شار

[redacted] لكاثوليكي من الاكليروس البطريركي

حقوق الطبع محفوظة

في أورشليم بمطبعة الآباء الفرنسيسيين سنة ١٩١٨

Digitized by Birzeit University Library

٥٢١
TAU 229426
37870

كنيسة القيامة

تأريخها ووصفها الحاضر

مكتبة جامعة بيرزيت
37618
BIRZEIT UNIVERSITY LIBRARY

بقلم
الخوري ثاوفانس شماس
الرومي الكاثوليكي من الاكليروس البطريركي

حقوق الطبع محفوظة

في أورشليم بمطبعة الآباء الفرنسيسيين سنة ١٩١٨

٤٠١
Digitized by Birzeit University Library

خارج القبر المقدس

Digitized by Birzeit University Library

كنيسة القيامة

تأريخها ووصفها الحاضر

مقدّمة

لقد كثرت أبحاث الباحثين في اللغات الاجنبية عن محلّ آلام الفادي الإلهي ومكان انبعاثهِ حتى يضيق بنا المقام عن تعدادها ولا تكاد تجد في لغة البلاد التي تشرّفت بان تكون مهبط هذه الآيات ومظهر هذه الأسرار العظيمة ولو كرّاساً يطلعك على حقيقة تأريخ أقدس مكان في العالم .

ولقد انقبض منا القلب مرارًا عند رؤيتنا مواطنينا الكرام يزورون في غالب الاوقات كنيسة القيامة (١) وليس بين ايديهم ما يثبت لهم حقيقة تأريخها وصحّة تقليدها حتى ولا ما يذكّرهم النصوص الانجيليّة . لا بل كثيرًا ما يسمعون من التفاسير

(١) يطلق اسم كنيسة القيامة على مجموع الكنائس والمعابد المشيّدة فوق الجلجلة والقبر المقدس ومغارة الصليب وما يجاورها .

Digitized by Birzeit University Library

المعوجّة والتقاليد الموضوعة التي لا رابط لها بالتأريخ ما يدخلهم في الحيرة والريب فيخرجون من هذه الأماكن المقدسة التي عانوا لزيارتها مشاقّ الاسفار دون ان ينالوا الغاية المرغوبة .

فسدًّا لهذه الثلمة ولئلا يكذب فينا المثل القائل « أهل البيت اعرف بما فيه » رأينا من مقتضيات جوارنا للاماكن المقدّسة ان نقدّم لمسيحيّي بلادنا في هذه اللمحة جلّ ما الّف من الكتب المطوّلة (١) في تأريخ كنيسة القيامة ثمّ نحاول وصف حالتها الحاضرة مع التلميح الى تذكاراتها المقدّسة متحرّين الجري مع التقليد العام ومتحاشين إيراد الآراء المتضاربة والتخمينات الوهمية وقد راجعنا رغبةً في الإثبات المصادر التي يشير اليها

(١) وهاك بعض اسماء الكتب التي طالعناها Jérusalem nouvelle par les P.P. Hugues Vincent et F. M. Abel. Livre II p. 89 - 300. Le Dictionnaire biblique. Le Calvaire p. 78 - 87. St. Sépulcre p. 1651 - 1666. Jérusalem par Victor Guérin p. 305 - 341 . Jérusalem par de Saulcy p. 16 - 30. Les Ste. Lieux par Mgr. Mislin T. II p. 223 - 277. Les Guides des professeurs de N. D. de France, du P. Barnabé Meistermann et de Bædeker. La Syrie et la Palestine par Laorthy Hadji. Le P. Nau p. 145 - 207.

Digitized by Birzeit University Library

المؤرخون وتردّدنا كثيرًا الى الجلجلة وقبر الفادي لكي نصف وصف شاهد عياني فعسى ما نسطّره أن يزيد زوّار بلادنا تقوى ويضرم في قلوب الجميع حبًا بمن تألّم وقُبر وقام لأجل خلاصهم.

تأريخ كنيسة القيامة

نظرة عامّة: ليس لمحلّ في العالم أن يضارع شهرة كنيسة القيامة لما جرى فيها من الحوادث الخطيرة والعجائب الباهرة. ففيها تمّ سرّ فداء البشر بموت المخلّص وفيها تثبّت الدين المسيحي بقيامة ابن الله المتأنّس من بين الاموات وفيها اكتُشف الصليب الكريم آلة فداء العالم. ولذا فلا عجب اذا اصبحت موضع اكرام المسيحيين في كل عصر وآن ومثّلت اكبر دور في التاريخ فصارت اورشليم الجديدة في عيون المسيحيين أقدس بما لا يوصف مما كانت عليه اورشليم القديمة في عيون الاسرائيليين فأخذ المسيحيون الاوّلون يحافظون على الجلجلة والقبر المقدس اشد المحافظة حتى اضطر الوثنيون الى إبعادهم عنهما وبعد قليل شيّد قسطنطين الملك فوقهما كنيسة دُعيت

تحفة التحف وفاقت بنايات العالم كلها فخامةً وجمالاً ولذا أصبحت مطمح أبصار الغزاة الطامعين فسلب الفرس كنوزها وذكروا أركانها في الجيل السابع الا ان المسيحيين لم يلبثوا ان ارجعوا اليها على يد مودسطس شيئًا من رونقها القديم وبقيت نحو اربعة اجيال على هذه الحال الى ان غلب الطمع والتعصب على احد الخلفاء المجتاحين فسلبها وأحرقها وتركها قاعًا صفصفًا فأبى تدين المسيحيين ان يبقى محل افتدائهم خرابًا فاضطروا عواهل بزنطية على انكسار شوكتهم وأفول نجمهم الى تشييد كنائس صغيرة جميلة عوض ذاك البناء الفخيم ولما كان المسيحيون في الاجيال المتوسطة يقاسون بجوارها ضغطًا وجورًا والزوار يلاقون ممانعة شديدة في زيارتها اهتزت اوربا وتألب الصليبيون جيشًا جرارًا فاستولوا عليها ورفعوا شأنها (١) وما زالت على توالي الاجيال ولن تزال موضع تنافس الدول العظمى قضاء لأميال الرعايا ولو فتر الدين في قلوب بعض الحكام وها نحن نرتقي سُلَّم الاجيال مبرهنين بما يدفع كل شبهة ان الجلجلة والقبر المقدس لم يزالا المحلين الحقيقيين التاريخيين رغمًا عما تقلب عليهما من الاطوار .

(١) وقد قيض الله لجيش الحلفاء الظافر ان يحررها من نفوذ الاتراك في تاسع كانون الأول سنة ١٩١٨

(١) هيأة الجلجلة والقبر المقدّس الأصلية

وقبل ان نذكر تأريخ الجلجلة والقبر المقدّس لا بدَّ لنا ان نورد ما تفيدنا الأناجيل المقدّسة عنهما لنعرف كيف كانت هيأتهما الأصلية . فالانجيليون القديسون يخبروننا ان الجنود الرومانيين أتوا بيسوع بعد ما حُكم عليه بالموت الى موضع الجلجلة الذي تفسيره الجمجمة(١) ولم يقولوا ان الجلجلة جبل كما توهّم كثيرون بل قالوا انّه موضع . وقد ذهب الآباء القديسون الى تأويل شتى في سبب تسمية هذا المكان جمجمة فقال القديس ايرونموس قد سُمّي جمجمة من أجل جماجم القتلى الذين عوقبوا فيه وارتأى كثيرون مع اوريجانس انه دُعي جمجمة لأن جمجمة أبينا آدم مدفونة هناك والمعوّل عليه الان تبعاً لرأي القديس كيرلس الاورشليمي ان هذا اللقب انما كان من هيأة المكان المرتفع المستديرة قمّتهُ على شكل جمجمة . ويتضح ايضاً من الإنجيل ان المكان خارج المدينة

(١) متى ف : ٢٨ عدد ٣٣ — لوقا ف : ٢٣ عدد ٣٣

وقريباً منها (١) وان امامهُ طريقاً كان المجتازون به يجدفون على يسوع وهم يهزُّون رؤوسهم .

وكان في الموضع الذي صُلب فيه بستان وفي البستان قبر جديد لم يوضع فيه احد قد نحته يوسف لنفسه في الصخرة ولما كان موت السيّد المسيح مساء ليلة السبت العظيم اضطرّ يوسف ونيقودمس الى ان يحنّطاهُ بسرعة ويدفناه في ذاك القبر لقربه . وبعد دفن يسوع دحرج يوسف حجرًا عظيماً على باب القبر ومضى (٢) ثم أتى اليهود وضبطوا القبر بختم الحجر وباقامة الحرّاس . وفي صباح القيامة حدثت زلزلة عظيمة لأن ملاك الرب نزل من السماء وجاء ودحرج الحجر وجلس فوقه (٣) ثم أتت النساء القدّيسات ودخلن في القبر (٤) واما بطرس فجاء القبر والحنى لكنه لم يدخل.

---

(١) يوحنا ف : ١٩ عدد ٢٠ ـ ٢٣

(٢) متى ف : ٢٧ عدد ٥٧ ـ ٦٠ — مرقص ف : ١٥ عدد ٤٦ — لوقا ف : ٢٣ عدد ٥٠ ـ ٥٣

(٣) متى ف : ١٨ عدد ٢ — لوقا ف : ٢٤ عدد ٢

(٤) مرقص ف : ١٦ عدد ٥ — لوقا ف : ٢٤ عدد ٣ — يوحنا ف : ٢٠ عدد ١

Digitized by Birzeit University Library

هيأة الجلجلة والقبر المقدس الاصلية

١ قبر المخلص

٢ انخفاض المكان

٣ الجلجلة

٤ مغارة محوّلة الى بئر

٥ القبور المنسوبة الى يوسف الرامي

Digitized by Birzeit University Library

(٢) مطابقة بين وصف الإنجيل المقدس وكنيسة القيامة

ففي هذا الوصف مطابقة جلية لما نعرف من تأريخ الجلجلة والقبر المقدس وحالتهما الحاضرة فإنه من الثابت الاكيد ان محلّ الجلجلة الذي نراه الآن في وسط المدينة الحالية كان خارجاً عن المدينة القديمة فقد بُنيَ لمدينة أورشليم ثلاثة أسوار على ما ذكر المؤرخ يوسيفوس (١) . فالسور الأول قديم يحيط برابية موريا حيث بُنيَ الهيكل وبجبل صهيون . والسور الثاني يحيط بالمحلة التحتانية المدعوة عقرة وهي شمالي صهيون وغربيّ موريا وكان محلّ الجلجلة خارجاً عن هذا السور . والسور الثالث لم يبتدئوا في بنائه الا على عهد هيرودس أغريبا سنة ٣٧ - ٤٤ ثم أوقفهم الأمبراطور كلوديوس عن متابعته ولم يُتمّهُ اليهود الا في زمن حصار تيطس سنة ٧٠ فقد صُلب السيد المسيح سنة ٣٣ ومن ثمّ فالسور الثالث لم يُبْنَ الا سبعاً وثلاثين سنةً بعد صلبه . ويسهل على العامة ان يثبتوا ذلك بمشاهدة الاكتشافات الحديثة في الكنيسة المسكوبية شرقيّ

(١) الحرب اليهودية الكتاب الخامس ف : ٤ عدد ٢

كنيسة القيامة وفي بطريركية الأقباط فإنهم يرون أسوار المدينة الثانية مع ابوابها على هيأتها الأصلية ومما يؤيد ايضاً قولنا اكتشاف قبور قديمة غربيّ كنيسة القيامة معزوّة الى يوسف الراميّ. فوجود قبور في هذا المكان برهان قاطع ايضاً على ان محلّ الجلجلة كان خارج المدينة لأنه كان محظوراً على اليهود ان يدفنوا موتاهم داخل المدينة.

ولنا بما نعرفه من تاريخ القبر المقدّس وما بقي من حالته الحاضرة ومن القبور القديمة اليهودية الباقية الى اليوم كقبور السلاطين وقبور القضاة شماليّ المدينة تفسير جليّ لما جاء من وصف الإنجيل لقبر الخلّص فانه كان عبارة عن مغارة محفورة في الصخر لها حجرة خارجيّة بمثابة دهليز ولهذا الدهليز باب منخفض جداً من الجهة الغربية يسدّهُ حجر كبير وهو يؤدي الى حجرة داخلية ترى فيها عن يمينك صُفّة محفورة في الصخر وُضع عليها رُفات الخلّص. وها نحن نورد في محافظة المسيحيين الأوّلين على القبر المقدّس والجلجلة وفي تشييد الكنائس المتعدّدة فوقهما مدة ستة عشر جيلاً برهاناً قاطعاً غيرَ مردود على صحتها وحقيقة تاريخها.

(٣) محافظة المسيحيين الأوّلين على الجلجلة والقبر المقدّس منذ قيامة الربّ الى أيام قسطنطين الملك.

كلٌّ يعرف ما كانت عليه الكنيسة الأورشليمية من الإزدهار بعد حلول الروح القدس على التلاميذ وما كانت حرارة ايمان المؤمنين وتقواهم في مواظبتهم كل يوم على الصلاة وكسر الخبز فهل غاب عن حافظتهم ذكر محل صلب فاديهم وانبعاثه بينما كانوا عائشين بجواره يبشرون اليهود والأمم بقيامة الربّ فهذا ما لا يدور في خلد عاقل يعرف ما لنا نحن الشرقيين خصوصاً من المحافظة على تقاليد مفاخرنا ومآثر اجدادنا. وما يزيدنا في ذلك يقيناً ما يذكر لنا الإنجيل المقدس من ان بستان الجلجلة وقبر الفادي لم يكونا بين أيدٍ غريبة ولا مُلك أعداء المسيحيين بل كانا ليوسف الرامي أحد تلامذة المسيح فهل ما يسوّغ لنا الظن ان تلميذ المخلّص أم أسرته قد تخلّوا عن هذا المكان المقدّس وباعوه ونسوا ما جرى فيه من الآيات الباهرة التي هي أسّ ديانتهم لا شك انهم ابقوه موضوع افتخارهم بين المؤمنين وفضلوه على الكنوز الثمينة. وفضلاً

عن هذا فاننا نعرف من تاريخ الكنيسة الأورشليمية في الأجيال الأولى للمسيح ما يدفع كل ريب في محافظة المسيحيين الأوّلين على هذه الاماكن المقدسة . فقد كان اساقفة أورشليم الى سنة ١١٠ من أنسباء المسيح فان القديس يعقوب الصغير المدعوّ أخا الرب استشهد سنة ٦٢ وخلفه على كرسيّه القديس سمعان بن كلاوبا الى سنة ١١٠ وفي ايامه هدم تيطس المدينة سنة ٧٠ ولم يكن في صخرة الجلجلة ولا في القبر المقدس ما يدعو الى الخراب ومحو الآثار . وكان القديس سمعان قد ذكر حينئذٍ كلام الرب المنذر بخراب أورشليم فتدارك المصيبة وذهب مع رعيّته الى مدينة بلا شرقيّ الأردن بجوار بيسان ثم رجع الى أورشليم مع عدد وافر من المسيحيين ومات شهيدًا وله من العمر مائة وعشرون سنة وقد خلفه ثلاثة عشر اسقفًا بلا انقطاع وكلّهم وطنيّون على ما يذكر المؤرّخ أوسابيوس (١) الذي حفظ لنا اسماءهم . ولما حظر ادريانس على اليهود سكنى أورشليم خلفهم اساقفة مرتـدّون من الأمم الوثنيّة واوّلهم

(١) اوسابيوس تاريخ الكنيسة ف : ٣ عدد ٣٢ في مجموعة بين المجلد ٢٠ حقل ٢٨١

القديس نرسيس الذي عقد مجمعاً في قيصرية سنة ١٩٥ ثم اقام من بعده القديس اسكندر تبوأ سدة الاسقفية مدة ٣٩ سنة وخلفه الاساقفة هميناوس وزامبدا وهرماس الى ان تولى المطران مكاريوس منصب الكرسي الأسقفي في ايام قسطنطين الكبير : فمن المحال ان يكون هؤلاء الأساقفة المنصبون للمحافظة على وديعة الإيمان قد نسوا محل صلب من يكرزون بصليبه وذهلوا قبر من يؤيدون كلامهم بآية انبعاثه. لا بل كان من تواتر زيارة المؤمنين لهذه الاماكن المقدسة وشدة إكرامهم لها ما دعا الأمبراطور أدريانوس سنة ١٣٥ الى إجلائهم عنها وبناء معابد وثنية فوقها الا ان العناية الإلهية استخدمت نوايا الخبيثة لتسم الجلجلة والقبر المقدس بطابع يميزهما عن غيرهما ويمنع الذاكرة من تناسي محلهما . وذلك ان أدريانوس رغبة في ان يمحو ذكرهما أمر بردم ذلك المكان بكمية وافرة من التراب والحجارة وبعد ما غطى ارضه الأصلية بأطه وبنى فوق الجلجلة والقبر المقدس هيكلين وثنيين ونصب فوقهما تمثالي المشتري والزهرة ثم حول الأرض المجاورة لهما الى بستان أنيق زاهر (١) وسمى المدينة ايليا كابيتولينا وطرد

(١) رسالة القديس ايرونموس السابعة عشرة الى بولينا عدد ٣

اليهود منها فلبث المسيحيون المرتدون عن الوثنية مطمئنين وأخذوا يستدلون بهذين الهيكلين على محل الجلجلة والقبر المقدس وكانت كنيستهم ناجحة والأساقفة يتناقلون خلفاً عن سلف التقاليد المقدسة .

وما فتىء المؤمنون بعد تشييد الهيكلين الوثنيين يفدون من كل الاصقاع فيتبركون بزيارة الاماكن المقدسة ولنا شهادات عديدة على ذلك فقد افادنا أوريجانوس (١) وأوسابيوس (٢) والقديس ايرونموس « ان زوّاراً عديدين وشهيرين كانوا يتقاطرون في الجيل الثاني والثالث لزيارة الاراضي المقدسة ويصلّون فيها » فلا يبقى مجال للريب بعد ما نراه من تعاقب الأساقفة على الكرسي الأورشليمي بلا انقطاع وابتداء الزيارات منذ صعود المسيح على ما يقول القديس ايرونموس وتتابعها في الجيل الثاني والثالث ان المسيحيين الأولين حافظوا على مكانين تمّ فيهما أعظم أسرار ديانتهم .

مجموعة مين مجلد ٢٢ حقل ٥٨١

(١) تفسير يوحنا ف : ٨

(٢) شلسوس ف : ٢ عدد ١

كنيسة القيامة على عهد قسطنطين سنة ٣٣٥

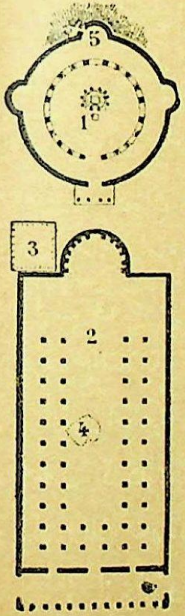

١ قبر المخلص في دائرة الكنيسة

٢ الكنيسة الباسيليقية

٣ الجلجلة

٤ مغارة اكتشاف الصليب

٥ القبور المنسوبة الى يوسف الرامي

Digitized by Birzeit University Library

(٤) كنيسة القيامة على عهد قسطنطين سنة ٣٣٥

زيارة القديسة هيلانة للاماكن المقدسة . وصف الكنيسة القسطنطينية . الحفلات الدينية في الكنيسة القسطنطينية

وبعد ما عانى المسيحيون الاضطهاد مدة ثلاثة أجيال وسُفك دم ما ينيف على عشرة الملايين منهم حان للكنيسة ان تخرج من الديناميس وتنال جزاء صبرها فاختار الله الملك قسطنطين ليرفع شأنها فبينما كان الملك فى مقدّمة جيوشه وقد داخله القلق امام جحافل مكسانس الجرّارة ظهرت له صورة الصليب في عرض السماء وفي أعلاها مكتوب بأحرف نارية « بهذه العلامة تغلب » وللحال اتخذ راية الصليب شعارًا وفاز فوزًا باهرًا على أعدائه وتبوأ عرش القياصرة في رومية فأصبحت اذ ذاك الديانة المسيحية الديانة الرسمية في المملكة وبذل الملك جهده في تعزيزها قيامًا بواجب الشكر .

زيارة القديسة هيلانة للاماكن المقدسة — فوافت سنة ٣٢٦ أم الملك القديسة هيلانة الى أورشليم لتزور الاراضي المقدسة ولما رأت هياكل الأوثان على الجلجلة والقبر المقدس

استعانت بالجنود الرومانيين وبمسيحيي المدينة فهدمت الهيكل وحطّمت الاصنام وازالت ما كان وضعه أدريانوس من ركام التراب والحجارة وطهّرت الارض من أدناس الأوثان فظهرت صخرة الجلجلة مرتفعة بارزة على هيأتها الأصلية وفي وسط البستان بدت مغارة المسيح مثل كنز مدفون ولم يتغير من دهاليزها ولا من حجرة الدفن شيء.(١) وكان من عادة الرومان ان يدفنوا بجوار منقع العذاب آلات الصلب فحفرت في بئر شرقيّ الجلجلة فظهرت أدوات الآلام ورأت فيه ثلاثة صلبان وعلى أحدها كما ذكر القديس امبروسيوس العلّة المكتوبة بثلاث لغات «يسوع الناصريّ ملك اليهود». ولما لم تزل الملكة ترتاب بعض الرّيب في تمييز صليب المسيح عن صليبي اللصين أمر المطران مكاريوس بأن يؤتى بالصلبان الثلاثة الى بيت امرأة محتضرة فوضعوا عليها صليبين فلم يفوزوا بطائل ولما أصابها صليب المسيح قامت معافاة للحال وقد جرت في الوقت نفسه آيات كثيرة ذكرها شهود عيانيون. ولنا شهادات

---

(١) اوسابيوس تاريخ الكنيسة ف : ٣ عدد ٢٨ في مجموعة مين المجلد ٢٠ حقل ١٠٨٧

عديدة من زوّار ذلك الجيل والأجيال المتتابعة تنطق كلها بأنهم رأوا بأم العين الصخرة الحقيقية التي صُلب عليها المسيح وصخرة الضريح الذي انبعث منه .

وصف الكنيسة القسطنطينية — ولما بلغ الملك قسطنطين خبر ظهور الجلجلة والقبر المقدس واكتشاف الصليب اوعز الى المطران مكاريوس ان يبني في ذلك المكان كنيسة تفوق بهاء وعظمة بنايات العالم بأسره وأمر رؤساء الأقاليم بان يستخدموا لذلك أمهر الصنّاع ويقدموا أجمل ما عندهم من صنوف الرخام والأعمدة وضروب الزينة وان لا يقتصدوا في بذل الدراهم فأسرعوا في تحقيق رغائب الملك وشادوا فوق القبر المقدس والجلجلة ومغارة الصليب ثلاث كنائس عرفت الأولى بكنيسة القيامة H Ανάστασις وكنيسة القبر المقدس والثانية بكنيسة الجلجلة Τὸ Κρανίον وهي المعروفة عند العرب فيما بعد بالأقرانيون والثالثة بكنيسة الشهادة Τὸ Μαρτύριον المرتيريون (١) او الباسيلقة Βασιλική

(١) قال القديس ايرونيموس « قد لقّبت هذه الكنيسة بالمرتيريون تذكاراً لاستشهاد المخلص لانها متاخمة للجلجلة ومحتوية

Digitized by Birzeit University Library

نسبةً للملك وكان يحفّ حول هذه الكنائس أروقة جميلة وباحات واسعة وصفوف أعمدة مرمريّة تألّف من مجموعها بناء فخيم فاق هياكل رومية عظمةً وأصبح تحفة الدهر برونقه وجماله .

وقد وصف هذه الأبنية زوّار كثيرون كالقديس كيرلّس (١) وثاودوريطس اسقف صور (٢) والقديس ايرونموس (٣) وكثيرون غيرهم (٤) وأشهرهم المؤرخ الذائع الصيت أوسابيوس أسقف قيصرية فانه وصفها وصفًا مطوّلاً مطابقًا كل المطابقة لوصف الزائرين من بعده (٥) ويمكننا ان نستخلص من وصفهم ومما بقي من آثار الكنيسة الى اليوم ان طول هذا البناء

على جزء منها » وقد دعيت ايضاً كنيسة اكتشاف الصليب لان تحتها مغارة اكتشف فيها الصليب في عمق عشرين مترًا

(١) تعليمه ف : ١ عدد ١٠ — ١٣

(٢) في كتابه تاريخ الكنيسة

(٣) في رسالتيه الى بولين ورفينوس

(٤) كسقراط ونيقفورس وساوبرس وسوزومانوس وزائر بوردو والقديسة أثيريا

(٥) ترجمة القديس قسطنطين المجلد ١ ف : ٢٤ وما يلي

Digitized by Birzeit University Library

كان يضيف على مائة متر وقد اقتضت احكام الهندسة وهيأة الارض الهابطة من الغرب الى الشرق ان تكون حنيّة الكنيسة غربيًا. فكان الزائر الداخل شماليّ المدينة من باب العامود يرى من الجهة الغربية في وسط الشارع المعروف الان بسوق خان الزيت صفّ أعمدة مرمرية عالية ذات تيجان بهيّة ووراءها درج واطئ في اعلاه أبواب فخيمة تدلّ على خطورة المكان فتنفسح امامه ساحة خارجيّة واسعة في وسطها بركة ماء (١) وحولها الاروقة من الجهات الأربعة ثم النرتكس ومن حوله بهوان يجتمع فيهما المؤمنون للمحادثة وفي صدر النرتكس ثلاثة ابواب فخيمة تؤدي الى كنيسة فريدة المثال يقف فيها الزائر وقد ملكته الهيبة والوقار فيسجد هاتفًا هذا بيت الله هذا باب السماء ثم يأخذ يسرّح الطرف في فسيح صحنها وعلوّ حناياها ولا يلبث ان يتأمل في تفاصيل هندستها فينظر الى اربعة صفوف أعمدة قد قدّ العامود منها قطعةً واحدة من الرخام المجبّب وهي تقسم الكنيسة الى خمسة أسواق على مثال ما نراه

(١) كان المسيحيّون في الاجيال الاولى يتناولون القربان المقدس من الكاهن بايديهم كما يتناول الشماس الانجيلي في يومنا ولذا كانوا يغسلونها في بركة ماء قبل دخولهم الكنيسة

Digitized by Birzeit University Library

في كنيسة القديسة هيلانة في بيت لحم وهي باقية الى اليوم رغماً عن تلاعب ايدي الدهر بها . وكان فوق القسمين المتطرّفين طابقٌ ثانٍ بمثابة (شعاري) للنساء . وفي صدر الكنيسة حنيّة واسعة حولها اثنا عشر عموداً من الحجارة الكريمة قد علق عليها مصابيح فضيّة وهي رمز الاثني عشر رسولاً اساطين الكنيسة وفي وسط الحنيّة مذبح جميل مسبوك من الذهب والفضّة تحمله تسعة اعمدة نحيفة . وكان السقف مصفحاً بالرصاص المموّه بالذهب وعليه ضروب النقش والتصوير والجدران مغطّاة بالفسيفساء الملوّنة الثمينة وارض الكنيسة مغشّاة بالرخام الناصع الساطع بهاء وكان يزين الكنيسة عدد لا يحصى من تقادم المؤمنين النفيسة من صلبان مرصّعة بالحجارة الكريمة ومصابيح ثمينة واكاليل فضيّة وذهبيّة وحليّ فاخرة وقلائد وخواتم وأساور غالية الثمن الى غير ذلك من ادوات الزينة التي لا يستوعبها وصف . ففي هذه الكنيسة كان يقيم المؤمنون الحفلات الدينيّة لانها فوق المغارة التي اكتُشِف فيها الصليب المكرّم .

وبعد ما يخرج الزائر من حنيّة كنيسة الشهادة الغربية كان يرى على شماله معبداً صغيراً مستنداً الى الجلجلة يكرّم

فيه المؤمنون قبر آدم (١) وفيه الذخائر المقدسة كعود الصليب الكريم والعلة المكتوبة عليه والحربة التي طعنت جنب المخلص والاسفنجة التي أسقوه فيها خلًا ومرارة والكأس التي قدّس فيها الرب في علية صهيون .

وفوق هذا المعبد درج شمالي يؤدي الى الجلجلة . وما اعظم ما كان يشعر به الزائر من التعزية اذ يرى صخرة الجلجلة عارية على هيأتها الاصلية يحتاطها جناح (درابزين) فضي وكان يتسنى للزائر ان يدخل منه فيقبّل صليباً فضياً معلقاً فوق الصخرة التي صلب عليها المخلص ثم يقبل تلك الصخرة المخضّبة بدم المسيح ويغسلها بدموعه الحارّة (٢) وبعد زيارة الجلجلة كنت ترى حيث كنيسة الروم في الوقت الحاضر

---

(١) ان تقليد دفن آدم تحت الجلجلة كان ذائعاً قبل الجيل الرابع فان اوريجانس في الجيل الثالث يقول : « قد بلغنا بشأن محل الجمجمة خبر عن العبرانيين يقولون فيه حسب تقليدهم ان فيه قبر آدم والجميع يقولون ان دم المسيح اختلط بتراب آدم » فمهما يكن من حقيقة هذا التقليد فهو كما يظهر عريق في القدم والى هذا الرمز الجميل يشيرون عندما يمثلون صورة الجمجمة تحت الصليب

(٢) رحلة زائر بوردو الى اورشليم . — رحلة القديسة اثيريا .

ساحة ثانية داخليّة مفشّاة بالرخام المجزّع الزاهي الألوان ومن جهاتها الشمالية والجنوبية والغربية صفوف اعمدة رشيقة وكان لهذه الساحة باب جنوبيّ حيث مدخل كنيسة القيامة في وقتنا الحاضر وباب غربيّ يؤدي الى كنيسة القبر المقدس.

فهناك في وسط دائرة فسيحة وبين اعمدة بهيّة كانت تنتصب الصخرة التي وارت جسد ابن الله مدّة ثلاثة ايام هناك كان قبر المسيح ومحل انبعاثه ومما لاحظه القديس كيرلس الأورشليميّ (١) ان ضرورة الهندسة اضطرّتهم الى قلع دهليز القبر او الحجرة الخارجية لتبدو حجرة القبر الداخلية ظاهرة لكل العيون وكان امام الضريح المجيد مذبح تسطع فيه الحجارة الكريمة تقدّم عليه الذبيحة الإلهيّة.

ولكي نتمثّل ذاك البناء الفخيم بكماله ينبغي ان نضيف اليه أروقة جميلة مزّينة سقوفها بالنقوش والتصاوير تحتاطه من جهاته الأربعة ولها جدران خارجيّة كأسوار منيعة والى جانب كنيسة القيامة الغربيّ كنيسة أخرى فيها جرن كبير للعمودية وفيها درج يؤدي الى الشارع الغربيّ وقد استفرغ

(١) تعليم القديس كيرلس ف : ١٤

هذا البناء الفخيم ستّ سنين مع توفّر الصنّاع والفعلة وبذل الهمّة العظيمة في إتمامه وفي سنة ٣٤٥ توارد من كل الأصقاع عدد لا يُحصى من المؤمنين والكهنة والاساقفة فحضروا تدشينه وقد أقاموا منذئذٍ تذكارًا سنويا لهذا العيد لم تزل الكنيسة الملكية تحافظ عليه في الليتورجيا في الثالث عشر من ايلول. وهو عيد تجديد هيكل قيامة المسيح الهنا المقدّسة.

Τὰ Ἐγκαίνια τοῦ Ναοῦ τῆς ἁγίας τοῦ Χριστοῦ καὶ Θεοῦ ἡμῶν Ἀναστάσεως.

الحفلات الدينيّة في الكنيسة القسطنطينيّة

ولا يخلو من الفائدة بعد ان حاولنا وصف الكنيسة القسطنطينية ان نشير الى ما كان يقيم المؤمنون فيها من الحفلات الدينية فان القديسة أثيريا في رحلتها الشهيرة(١) في ذاك العصر تذكر ان عدداً وافراً من المؤمنين كان ينضمّ الى الرهبان والراهبات فيهبّون من رقادهم عند منتصف الليل فيرتلون

(١) رحلة اثيريا الى اورشليم — كابرول: كنائس الشرق ف ٣

الفرض الكنسيّ الى منبثق الصباح ثم يثابرون كل يوم على حضور الصلاة عند الظهيرة والعصر والغروب . وفي اعياد كثيرة كان الشعب يزور كنيسة إليونه في جبل الزيتون وكنيسة صهيون وكنيسة بيت لحم (١) ويأتي مساء في تطواف مهيب مصليًا ومرغمًا الأناشيد الى كنيسة القيامة حيث يقيم صلاة الغروب . وفي أيام الصوم كان الشعب يُحيي ليلته في الصلاة الى ان يطلع الفجر وقد أدّى حبّ التقشف والإماتات ببعضهم الى صوم خمسة أيام في الأسبوع من صباح الإثنين الى صباح السبت بعد القداس . وكنت ترى الموعوظين ليلة عيد الفصح يستعدّون بحسابة الميل بالصلاة تأهبًا لسر المعمودية العظيم .

---

(١) وهذه الكنائس الثلاثة قد حافظ التاريخ على محلها ولا ريب الان في صحتها وقد شيّدت القديسة هيلانة كنيستين وهما كنيسة القيامة وكنيسة اليونه المكتشفة آثارها حديثًا في جبل الزيتون .

Digitized by Birzeit University Library

هدم الفرس الكنيسة القسطنطينيّة سنة ٦١٤
وصف بناء مودسطس — حفلة سبت النور

ولم يدم البناء القسطنطينيّ الفخيم الا مائتين وسبعين سنة وكان رابع أيّار من سنة ٦١٤ آخر ايامه ففيه هجم على المدينة في ذلك النهار قائد كسرى الثاني في جيش جرار وانضمّ اليه ستة وعشرون الف يهودي . فدكّوا أسوار المدينة وأحرقوا في القدس نحو ثلاثمائة كنيسة ودير كما احرقوا سائر كنائس فلسطين وقتلوا على ما قيل تسعين الف مسيحيّ ولم تسلم كنيسة القيامة من همجيّتهم بل سلبوا كنوزها وزخارفها وقتلوا كل من التجأ اليها ولم يبقَ من هذه التحفة القسطنطينية الا حجار متكلّسة وسقوف ساقطة وجدران متداعية وقد أدّى بهم طمعهم وجشعهم الى أن كسروا حجر الملاك في مغارة القبر ظنًّا منهم ان فيه كنزًا ولمّا أمر القائد بالتوقف عن الذبح والحرق وجدوا في دير القيامة مائتين واثني عشر قتيلًا وفي كنيسة الضريح المقدس ثلاثة وثمانين قتيلًا وفي كنيسة الشهادة ثمانين قتيلًا وأخيرًا أخذوا جزءًا كبيرًا من عود

الصليب المكرَّم وأسروا عددًا وافرًا ممن بقي من المسيحيين وفي مقدَّمتهم البطريرك زخريًا . ويجدر بنا هنا ان نذكر قول مؤرخ ثقةٍ يشهد بصدقه وتراهته الجميع وهو سعيد بن بطريق الذي ارتقى فيما بعد الى الكرسي البطريركي الاسكندري (١) نذكره على علّاته لأهميّته قال : « فوجّه (كسرى) بقائد من قوّاده يقال له حرزويه الى بيت المقدس ليخربه . . . فصار الى بيت المقدس فاجتمع اليه اليهود من طبرية وجبل الجليل والناصرة وما حوله وجاؤوا الى بيت المقدس فكانوا يعينون الفرس على خراب الكنائس وقتل النصارى فلما صار الى بيت المقدس أوّل ما بدأ ضرب كنيسة الجسمانية وكنيسة إليّنة وهما خراب الى هذا الوقت وضرب كنيسة قسطنطين والاكرانيون (الجلجلة) والمقبرة (القبر المقدس) وقتلوا (قتل) اليهود مع الفرس من النصارى ما لا تحصى كثرتهم وهم القتلى الذين ببيت المقدس في الموضع الذي يقال

(١) طالع اخبار البطريرك الاسكندري الجزء الاول طبعة الأب لويس شيخو اليسوعي سنة ١٩٠٦ وجه ٢١٦ (وهي ايضًا في مجموعة الكتبة المسيحيّين الشرقيّين المجلد الثالث الفصل السادس والسابع)

Digitized by Birzeit University Library

له ماملاً وانصرفوا (انصرف) الفرس بعد ما أحرقوا وقتلوا وسبوا زخريا بطريرك بيت المقدس وجماعته واخذوا عود الصليب».

وصف بناء مودسطس — هُدمت الكنيسة القسطنطينية ولم يقم من قياصرة بزنطية من يتبرّع بالحسنات لتجديد بنائها لان عظمة قسطنطين وغناه قد زالا عنهم ولم تعد الخزائن الملكيّة تفي بحاجاتها فصعب على مسيحيّي سوريّة ومصر ان يروا أعزّ مقام عليهم أطلالاً ورسوماً فهمّوا في تجديد بنائه وان لم يطمعوا في إعادته الى رونقه السالف وقد اختار الله لهذه المهمّة مودسطس رئيس دير القديس ثاودوسيوس وكان نائباً بطريركيًّا على الكرسيّ الأورشليميّ في مدّة جلاء البطريرك زخريا فطاف في انحاء سورية جائلاً في الرملة وطبرية وصور ودمشق فجمع اموالاً طائلة. ولما رأى مسيحيُّو مصر حميّة اخوتهم السوريّين أخذوا يبارونهم اريحيّة وسخاء. فأرسلوا عن يد البطريرك يوحنا الرحيم «ألف دابّة وألف تليس (كيس) حنطة وألف تليس قطانة (قطاني) وألف جرّة صير (سمك صغير مملح) وألف جرّة شراب وألف

وطل حديد وألف فاعل » (١) فاستغرق البناء اثنتي عشرة سنة بذل فيها مودسطس جهده في اعطائه صحة من جماله الأول وقد ساعده على ذلك ما بقي من آثار الكنيسة القسطنطينية لان فؤوس الفرس ومشاعلهم لم تتمكن من دكها والتهامها تماماً لمتانتها . فرمم الجدران المتداعية وجدد غيرها ورفع السقوف الساقطة وبلط ارض الكنيسة وحافظ ما امكنه على رسم كنيسة القيامة والجلجلة والشهادة وزاد عليها كنيسة رابعة على اسم مريم العذراء جنوبي القبر المقدس في مدخل الكنيسة الحالي . ثم حوّل الساحتين الجميلتين المذكورتين سابقاً الى أروقة ومعابد صغيرة وضع فيها ذخائر الآلام . وللقديس صفرونيوس وصف جميل لكنيسة الشهادة قد عدّ فيه خمسة وسبعين عموداً وفي كتاب التيبيكون الاورشليمي وصف لحليّة هذه الكنيسة يذكرنا ترتيب الكنائس الشرقية الحاليّ حيث ترى الكرسيّ الكاثدرائي في صدر الحليّة ومن حوله كراسي الكهنة وفي وسطها المذبح المقدس

(١) سعيد بن بطريق في مجموعة كتب المسيحيين الشرقيين القسم الثالث المجلد ٦ وجه ٢١٧

بناء مودسطس في الجيل السابع

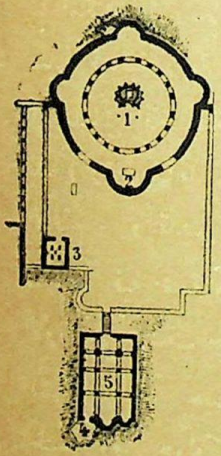

١ القبر المقدس

٢ المذبح الكبير

٣ الجلجلة

٤ و٥ مغارة اكتشاف الصليب

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

ثم يليه الإيقونستاس وفيه ثلاثة ابواب ملكيّة .

ولم تمضِ سنةٌ على تجديد كنيسة القيامة حتى هبَّ الامبراطور هرقل من سُباته فظفر بسرويس بن كسرى واسترجع ذخيرة عود الصليب وقد بقيت في صوانها ولم يمسَّها أدنى ضرر ودخل بها أورشليم حافيًا متواضعًا فاستقبله الشعب بحفاوة لا مزيد عليها ودموع الفرح تتساقط من عيونه . وقد أقام المسيحيون تذكارًا لهذا العيد ولم يزالوا كل سنة في عيد رفع الصليب يجدّدونه بمظاهر التقوى وضروب الزينة وإشعال نيران الفرح على ما هو معروف .

وفي سنة ٦٣٨ استولى الخليفة عُمر على المدينة المقدسة ويشهد له التاريخ باحترامه للبطريرك صفرونيوس وحسن معاملته للمسيحيين واطلاق الحرية لهم في ممارسة واجبات دينهم وقد روى المؤرّخ سعيد بن بطريق انه لم يرد ان يصلّي في صحن القيامة ولا في كنيسة القديس قسطنطين لئلا يطمع فيها الإسلام من بعده بل صلّى على الدرجة التي على باب كنيسة مار قسطنطين « وكتب سجلًا ودفعه للبطريرك على ان لا يصلّي احد من المسلمين على الدرجة الا واحد فواحد

ولا تجمع فيها صلاة ولا يؤذّن عليها (١) . وبنى على أطلال هيكل سليمان الجامع المنسوب اليه المعروف بالجامع الأقصى . ويا ليت خلفاءه كلهم جروا على طريقته السلميّة ولم يتركوا الجهلة والرعاع يخرقون مرارًا حقوق الدين والمدنيّة من ذلك ما جرى سنة ٩٣٥ « اذ خالفوا سجلّ الخليفة عمر فقاموا الفسيفسه من الحنيّة وكتبوا فيها ما أحبُّوا وجمعوا الصلاة وأذنوا فيها وكذلك فعلوا في الدرجة التي كانت على باب كنيسة قسطنطين التي صلّى عليها عُمَرُ وأخذوا نصف دهليز الكنيسة وبنوا فيها مسجدًا (٢) » .

وقد أعادوا الكرّة سنة ٩٦٦ « فاجتمعوا على الابواب وخرّبوا ابواب ماري قسطنطين بالنار ودخلوا منها الى القيامة وألفوها مغلقة وأحرقوا ابوابها وسقطت قبّة القيامة ودخلوا الكنيسة ونهبوا ما قدروا عليه . . . وهدم اليهود وخرّبوا أكثر من المسلمين فلما كان يوم الثلاثاء ثاني ذلك اليوم التقوا البطريرك مختفيًا في جبّ من جباب الزيت في كنيسة

(١) سعيد بن بطريق في مجموعة الكتبة المسيحيين الشرقيين القسم الثالث المجلد السابع وجه ١٧

(٢) سعيد بن بطريق في « « « المجلد السابع وجه ١٩

Digitized by Birzeit University Library

القيامة فقتلوه وجرّوه الى صحن مار قسطنطين وأحرقوه (١) ».

وقضت هذه التعديّات مع ضروب الحدثان وتوالي الأيام بترميم كنيسة مودسطس عدّة مرار ففي ايّام الخليفة المأمون اهتم البطريرك توما الاوّل بترميم قبّة القيامة « فوجّه الى قبرس فقطع خمسين جذعاً من أرز وصنوبر . . . وبنى قبة من خشب وبنى فوقها قبة أخرى يكون بينهما قدر ما يمشي فيه انسان ورصّص فوقها بالرصاص (٢) ».

وبعد حريق سنة ٩٦٦ جدّد البطريرك توما الثاني بناء كنيسة القيامة ورمّم بعده البطريرك يوسف الثاني كنيسة القديس قسطنطين سنة ٩٨٠ وقد صبرت كنيسة مودسطس على آفات الدهر اكثر من الكنيسة القسطنطينية الاّ أن يدًا أقسى من يد الفرس كانت معدّة لدكّ بنائها ومحو آثارها .

حفلة سبت النور — وقبل ان نورد خبر هدمها يحسُن بنا ان نذكر ما كان يُقال عن حفلة سبت النور في

---

(١) تاريخ ابن يحيى الانطاكي في مجموعة الكتبة المسيحيين الشرقيين المجلد السابع وجه ١٢٥

(٢) سعيد بن بطريق « « « المجلد السابع وجه ٥٥

ذاك الوقت لما فيها من العلاقة مع ما يجري في عصرنا فان تبيكون المدينة الأورشليمية يصفها مطولاً . «وذلك في الساعة الثانية يأتي الرهبان او الراهبات الممثلات حاملات الطيب فينظفون المصابيح ويضعونها في القبر المقدس بحضور عِلّيَة الاكليروس ثم يطفئون مصابيح الكنيسة كلّها ويغلق البطريرك باب القبر المقدس ويأخذ معه المفتاح وعند الساعة التاسعة ينزل مع اكليروسه الى كنيسة القيامة ويترأس رتبة صلاة الغروب ويتبعها خمس عشرة نبوءة (على ما هو معروف في الطقس الملكي) ثم يبخر البطريرك والمطارنة والكهنة ثلاث مرار حول القبر المقدس وهو مُغلَق ويبخر باقي أجزاء الكنيسة وحينئذٍ يدخلون الى المذبح المقدس ويبتدئ البطريرك يردّد بحرارة وبلا انقطاع الدعاء «كيريه ايليصون» ثم يخرج البطريرك من المذبح وهو رافع يديه والشماسان يسندانهما ويتقدمه عِلّيَة الاكليروس ثم ينطرح البطريرك الى الارض امام المذبح المقدس ويصلي بدموع لأجل خطايا الشعب ويسجد ثلاث مرار مع الذين معه بينما الشعب يردّد بلا انقطاع «يا ربّ ارحم» وحينئذٍ يدخل البطريرك وحاشيته الى القبر المقدس ساجدًا ثلاث مرار وخارًا الى الأرض ومصليًا لأجله

ولأجل الشعب فيشعل من النور المقدس ويناول النور الى الأرشيادياكونوس وهذا يناوله للشعب (١)

ليس في هذا النص ما يظهر جليًا ان مصدر هذا النور سماويّ ولكن لنا شهادات تاريخية ثابتة تظهر ان هذا النور كان ينزل احيانًا من السماء في ذاك العصر. من ذلك ما اكّده ثاودورس (٢) مطران اودسّة الذي حضر حفلات اسبوع الآلام مع بطريركي انطاكية وأورشليم فقال انه لم يبارح المدينة الا بعد ان استضاءت مصابيح كنيسة القيامة من النور السماوي.» والراهب برنردوس الافرنجي قد شهد حفلة سبت النور في أواخر الجيل التاسع وروى انهم في ذاك النهار بعد صلاة الغروب كانوا يرتلون «كيريه ايليصون» الى ان ينزل ملاك من السماء فيشعل المصابيح المعلقة في القبر المقدّس. والمؤرخ الشهير لكويان (٣) أورد عدّة شهادات دالّة على العجيبة، منها أن احد الملوك اراد ان يختبر بنفسه هذه العجيبة لعدم تصديقها فأعدّ المصباح بذاته واتخذ

---

(١) وجه ١٨٣ و١٨٤ Ἀνάλεκτα Ἱεροσολυμιτικῆς Σταχυολογίας

(٢) طالع ترجمة ثاودورس في مجلة Νέα Σιών سنة ١٩١١ وجه ٢٢٦ وما يلي وهو قد عاش في الجزء الثاني من الجيل الثامن

(٣) طالع الشرق المسيحي (المجلد الثالث وجه ٣٧٤

الاحتياطات اللازمة لئلا يغشّه احد. فرآه يستضيء وهذا ما يذكره المسعودي على لسان المسيحيين (١) سنة ٩٤٣ مما يدل على اعتقادهم بذلك.

ولكن اذا كان لنا ما يسوّغ الاعتقاد بوجود عجيبة احياناً في تلك الاجيال الخالية اذ كانت الطوائف كلها متحدة تحت رئاسة الحبر الروماني خليفة مار بطرس فليس بين طغمات الاكليروس والمسيحيين المتنوّرين من يدّعون هذه العجيبة في وقتنا الحاضر وليست حفلة سبت النور الا رتبة دينية تذكرنا بقيامة المسيح الباهرة وبزوغه من الرمس مثل شمس منيرة كلّ انسان وارد الى العالم. ومن ثم فلا داعيَ لبعض الزوّار الحاضرين هذه الحفلة من اخواننا الروم الارثوذكس في كنيسة القيامة لان يتسابقوا ويتدافعوا لأخذ النور بنوع منافٍ لحرمة هذا المكان المقدس ولا ان يهتفوا هتافات تذكّر « بعراضات » بعض الرعاع الأوباش في الأزقّة ولا أن يحدثوا هذه الجلبة التي يندى لها جبين كلّ مسيحيّ يحترم بيت الله والتي كان آباؤنا واجدادنا براء منها ولا شك انه لو زار السيد المسيح كنيسة القيامة في مثل هذه الحالة لاتخذ مقرعة كما فعل في الهيكل وقال مكتوب بيتي بيت صلاة يدعى..

---

(١) كتاب التنبيه والاشراف للمسعودي وجه ١٤٣ طبعة ليدن ١٨٩٦

ومن غريب امر اكثر هؤلاء الزوارانهم اعتادوا مباركة المدينة المقدسة بعد حفلة سبت النور وقبل ان يقدسوا يوم الرب العظيم وقيامة المسيح المجيدة . والسلام على من حفظ ووعى .

هدم الحاكم كنيسة القيامة سنة ١٠٠٩ ـ وقد صبر بناء مودسطس على آفات الدهر نحو اربعة اجيال الى ايام الحاكم بامر الله احد الخلفاء الفاطميين بمصر. ولا عجب في ذلك فان مؤرخي العرب يسهبون في وصف عتاهته وقساوته البربرية . فقد كان احب شي لديه سفك الدماء ورؤية الخراب وقد جعل من دأبه « محو معالم الكنائس من على وجه الارض وازالة آثارها » وبذل همة خاصة « في هدم كنيسة القيامة وازالة اعلامها وتقصي قلع آثارها» فتلقى منه باروخ حاكم الرملة هذه الاوامر « وانفذ ابنه يوسف والحسين بن ظاهر الوزان وانفذ معهما ابا الفوارس الضيف واحتاطوا على ما فيها من الآلات وانزلت باسرها الى القرار الا ما تعذر هدمه واستصعب قلعه وهدم الافرانيون وكنيسة ماري قسطنطين وسائر ما اشتمل عليه حدودها واستقصى في ازالة الآثار المقدسة وجهد ابن ابي ظاهر في قلع المقبرة ومحق اثرها فتقر اكثرها وقلعه وكان ابتداء نقضها يوم الثلاثاء لخمس خلون من صفر سنة اربعمائة وتركت اليد على سائر املاكها واوقافها وقبض على جميع آلاتها وضياعها

Digitized by Birzeit University Library

ففي هذه الاسطر الوجيزة يصف يحيى بن سعيد الأنطاكي (١) اتم خراب لحق بكنيسة القيامة إلا ان قوة هؤلاء المجتاحين لم تكن موازية لتعصبهم وبربريتهم فان المؤرخ يستثني من هذا الخراب ما تعذر عليهم هدمه واستصعب قلعه من ذلك صخرة القبر المقدس فانه لم يتمكن الا من قلع الجزء الاكبر منها وبقي منها الجزء الاسفل من الجدران وصخرة القبر نفسه مع صخرة الجلجلة وهذا مايشهد به المؤرخون الاثبات الذين شاهدوا عياناً ما بقي من صخرة القبر المقدس وصخرة الجلجلة وقد ابقته العناية الإلهية الى الآن ليظل شاهداً ناطقاً على جماده بالآلام الخلاص وموته وقيامته من بين الاموات.

وبعد هدم كنيسة القيامة بايام قليلة اراد ظاهر غزة المفرج بن الجرّاح ان يستنجد امبراطور القسطنطينية ليساعده على مقاومة سلطان مصر وسعى استعطافاً لخاطره في اقامة بطريرك على بيت المقدس اسمه ثاوفيلوس وفي اعانة النصارى على تجديد كنيسة القيامة فشيدوا كنيسة القبر المقدس وحال الفقر دون اتمام الباقي ثم مات المفرج ولبث المسيحيون يعانون مضض الاعتداء عليهم وهضم حقوقهم

(١) تاريخ يحيى بن سعيد الإنطاكي وجه ١٩٥

ويلاقون اشد ممانعة في اقامة الصلاة في معبد القيامة (١)

وبعد موت ثاوفيلوس توجه البطريرك نيقيفور الى الخليفة الحاكم في مصر وكان له دالة عنده لسابق خدمة اداها له وعرض له ما يقاسي النصارى من ضروب الجور والتعدّي عليهم في عرصة القيامة « فكتب له سجلًا يعده بالحماية والصيانة وحفظ الكنائس الباقية ببيت المقدس .« ٢»

ولما خلف الحاكم ابنه الظاهر عقد هدنة مع ملك القسطنطينية رومانوس الثالث ارغيروبوليس وكان من شروطها ان يطلق الملك سبيل الأسرى المسلمين وينال من الظاهر مقابل ذلك الرخصة في تجديد بناء كنيسة القيامة واقامة بطريرك على بيت المقدس فبقي ملوك القسطنطينية يتحينون فرصة لتحقيق رغبتهم وفقر الخزينة يصدهم عن ذلك الى ان تمكن من مباشرة البناء الملك قسطنطين التاسع الملقب مونوماخوس .

كنيسة القيامة على عهد مونوماخوس ١٠٤٨ — ١١٣٠

وبقيت كنيسة القيامة الى سنة ١٠٠٩ على رسم كنيسة القديس قسطنطين رغما عن هدم الفرس لها والاضطرار الى تجديد

(١) تاريخ يحيى بن سعيد وجه ٢٠١ (٢) وجه ٢٣٠

Digitized by Birzeit University Library

بنائها وترميم بعض اجزائها مرارا ولكن الحاكم الحق بها من الخراب مالم يسمح للمهندسين بان يحاولوا بناءها على هيأتها الأصلية ولو رغبوا في ذلك لما كان لهم من ذات اليد ما يعينهم على تحقيق هذه الرغائب . فاكتفوا بان يبنوا معابد صغيرة فوق الامكنة المقدسة وزادوا حولها عدة معابد اخرى صغيرة اقتضتها تقوى المؤمنين

القبر المقدس وتوابعه .—فابتدأوا بارجاع مغارة القبر المقدّس الى حالتها الاولى واعتاضوا عما قلع من صخرها حجارة بناء ثم شادوا فوق المغارة كنيسة جميلة يحتاطها اثنا عشر عمودا وكان بين كل ثلاثة اعمدة دعامتان وفوق هذه الاعمدة طابق ثانٍ فيه الاروقة وعليه قبة واسعة . وبنوا شمالي القبر المقدس وجنوبيه معبدين جميلين الاول اكراماً لمريم العذراء والثاني للقديس يوحنا الحبيب وكانت الغاية من ذلك ان يجعلوهما حول القبر المقدّس كما كانا حوالي الصليب . وكان بجوار معبد القديس يوحنا الحبيب اي جنوبيّ الضريح المقدس كنيسة الثالوث الاقدس لاحتفالهم بسر المعمودية في هذا المكان منذ عهد قديم وبني جنوبيها ايضاً كنيسة القديس يعقوب اول اسقف على اورشليم وهي لم تزل على حالها الى الان . وكانت معابد القدّيس يعقوب والثالوث الاقدس مع دائرة القبر المقدس ومعبد مريم العذراء

على خط مستقيم يراها الزائر بلمحة طرف ولها ابواب يؤدي بعضها الى بعض .

الجلجلة وتوابعها — ثم افرزوا بناء كنيسة الجلجلة عن القبر المقدس وشادوا فوق صخرة الصليب معبداً تغطي جدرانه فسيفساء جميلة تمثل صورة السيد مصلوباً وقد قامت مقام الصليب الفضي المذكور آنفاً على انهم ابقوا قمة الصخرة مكشوفة ليبقى تشققها العجيب بادياً للجميع . ولم يزل معبد آدم تحت الجلجلة كما كان سابقاً وقد اقام كنيسة اخرى للعذراء في مدخل الباب الحالي ومنذ ذاك الوقت لم يعد لكنيسة الشهادة ذكر بل اقاموا عوضاً عنها اروقة طويلة فيها عدة مذابح صغيرة بنيت لاقامة ترتيب حفلات الآلام كلها في محل واحد في تلك الاعصر واما مغارة الصليب فاكتفوا بترميمها مستخدمين لذلك اعمدة قديمة وعلى هذه الحال وجد الصليبيون البناء والجزء الاكبر باق الى الآن .

كنيسة القيامة على عهد الصليبيين سنة ١١٣٠

ولما لم يزل المسيحيون يعانون ضروب الضغط والجور والزوار الاوروبيون يلاقون اشد الصعوبات في زيارة الاماكن المقدسة

Digitized by Birzeit University Library

وكنيسة القيامة يتهددها الخراب على الدوام استفزت الحماسة لدى اهل الغرب وقصدوا تفريج اخوتهم عن كربتهم بالاستيلاء على محل فداء البشر فتألفت اول حملة الصليبيين تحت قيادة غود فريد بوليون وبعد ما ظفروا بكل ماتصدّى لهم في طريقهم الشاسعة من العقبات الكؤود استولوا على المدينة المقدسة في ١٥ تموز سنة ١٠٩٩ ودخلوا كنيسة القيامة حفاة ناشدين الاناشيد. ولم يرد قائدهم ان يكلل ملكاً باكليل ذهبي حيث كلل مخلصه باكليل شوكي وقد بدأوا بتوطيد ملكهم في فلسطين ونشر الوية السلام والأمن العام ثم وجهوا اعتناءهم الى بنيان الكنائس وقد روى المؤرخ غوليلمس «١» الشهير اسقف صورانهم حافظوا ما امكنهم على ما كان مبنياً في كنيسة القيامة وان لهم فضلا بجمع المعابد المتفرقة بين جدران كنيسة واحدة وتحت سقف متين شاهق وزادوا على ذلك ان بنوا شرقي القبر المقدس كنيسة لها ثلاث حنايا متجهة نحو الشرق وفيها كانوا يقيمون الحفلات الدينية وهذه الكنيسة هي المعروفة الان بكنيسة نصف الدنيا. ثم شادوا قبة رخيمة لكنيسة الصليب ونوا في محل الشهادة ديرا للقانونيين لم تزل آثاره باقية إلى الآن وهو الان بين أيدي الاقباط

(١) تاريخ غوليلمس الكتاب الثامن الفصل الثالث

كنيسة القيامة على عهد الصليبيين سنة ١١٣٠

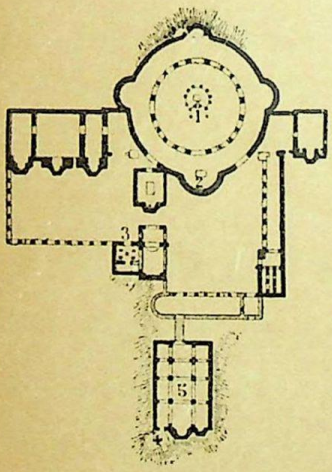

١ القبر المقدس
٢ الخورص
٣ الجلجلة
٤ مغارة اكتشاف الصليب
٥ دير القانونيين

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية

Digitized by Birzeit University Library

ورفعوا في الزاوية الجنوبية الغربية برجاً للأجراس (١) ذا ثلاثة طوابق مزيناً باعمدة جميلة ونوافذ عديدة وقد هدم منه طابقان ونصف ولم يبق منه الان الا نصف طابق وأقاموا عن يمين هذا البرج بابين جميلين على قوسيهما النقوش الجميلة والفسيفساء الزاهية الالوان واحد هذين البابين مسدود الآن والثاني هو مدخل الكنيسة الحالي . وكان لكنيسة القيامة بابان آخران من الجهة الغربية في السوق المدعو الآن سوق النصارى احدهما مخفي الان في احد مخازن السوق والثاني ترى آثاره مقابل شارع دير الروم وعليه قوس جميل ونقوش بهية .

كنيسة القيامة من عهد الصليبيين الى ايامنا

وبعد ما انتصر صلاح الدين على الصليبيين في حطين استولى على المدينة المقدسة سنة ١١٨٧ فاشار عليه بعض حاشيته على ما روى عماد الدين ان يدمر كنيسة القيامة كي لا تبقى وسيلة للنصارى ليحجوا اليها وخالفهم غيرهم من رجال شورته مذكرين له بما عمل عمر بن الخطاب وقائلين ان النصارى لا ينفكون عن

(١) لم يكن مسموحا قبل هذا الاوان باستعمال الاجراس في الكنائس على ما ذكر الادريسي سنة ١١٥٤

زيارة الجلجلة وقبر المسيح ولو لحقت الارض بالسماء فعفا الملك عن الكنيسة وقبل ان يبقى في خدمتها كهنة من السوريين ثم من الغربيين الا انه امر بنزع الصليب عن واجهتها وبتحطيم الاجراس المعلقة على برجها.

وفي هذه المدة سنة ١٢٣٠ عهد البابا غريغوريوس التاسع الى الرهبان الفرنسيسيين خدمة كنيسة القيامة وهم لا يزالون الى ايامنا يمثلون كاثوليك العالم اجمع ويقومون بخدمة الاماكن المقدسة وقد اهرقوا غير مرة دماءهم محاماة عنها ومما يجدر بنا ملاحظته ان كل الطوائف مدة اتحاد الكنائس من لاتين وروم وكرج واقباط وحبش ويعاقبة كانت تشترك في الحفلات الدينية ثم اخذت فيما بعد الطوائف غير المتحدة تختص لنفسها دون غيرها بعض اجزاء منها .

ومنذ الجيل الثالث عشر الى ايامنا رممت كنيسة الصليبيين مرارا بسبب ما لحق بها من الزلازل والحريق واجتياح الامم البربرية . ففي سنة ١٢٤٤ غزا الخوارزميون مدينة القدس وذبحوا عددا من الكهنة والمؤمنين في كنيسة القبر المقدس ونهبوا حليها وكسروا حجر الملاك على امل ان يروا فيه كنزا فنقل الارمن جزءا منه الى مركزهم في دار قيافا وبقي الجزء الثاني في

Digitized by Birzeit University Library

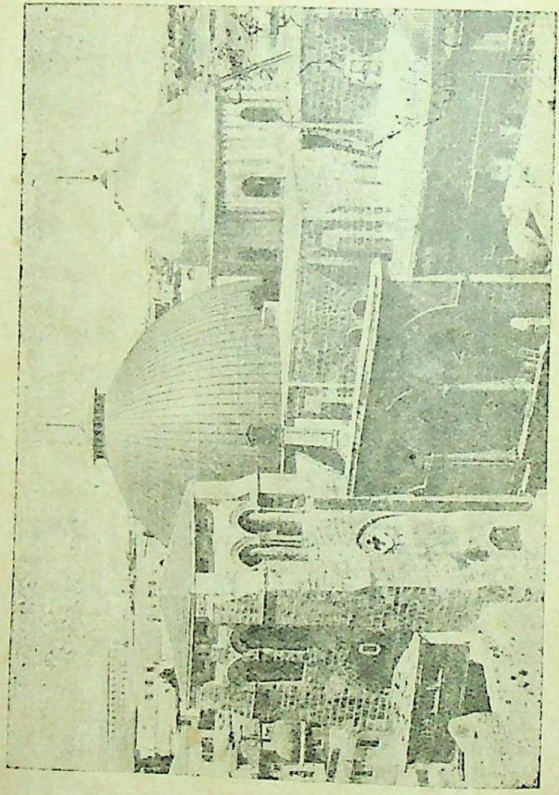

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

محله . وفي سنة ١٥٥٥ نال الاب بونيفاس دي راكوز رئيس دير صهيون من الباب العالي رخصة تجديد بناء القبر المقدس لزوال هوى به الى الحضيض ولنا منه شهادة تثبت بقاء صخرة القبر المقدس على حالها .

وفي سنة ١٧١٩ تداعت قبة كنيسة القبر المقدس وكانت من عهد قسطنطين مونوماخوس فحصل الفرنسيسيون على رخصة تشييدها مع ترميم بعض المعابد بسعي سفير فرنسا المركيز دي بوناك فنجحوا في بنيانها على ما يذكر المؤرخون نجاحا تاماً وكان لها من المتانة ما يسخر بالاجيال الا ان اللهيب قد التهمها قبل ان يمضي عليها جيل تام . ففي سنة ١٨٠٨ استعرت النار في معبد الارمن في طابق كنيسة القبر المقدس الأعلى وامتد اللهيب الى جسور القبة الكبرى والى سقف كنيسة الروم فسقطت القبة وتصدعت الاعمدة وتشقق بلاط الكنيسة واخيراً توصلوا الى اخماد النار ولم يبق سالماً الا جزء من الجلجلة مع كنيسة القديسة هيلانة ومعبد اللاتين .

فاسرع الرهبان اليونانيون وطلبوا من السلطان محمود الثاني فرماناً يأذن لهم بترميم الكنيسة فنالوا بمهارتهم المعهودة ما ارادوا فشادوا فوق القبر المقدس هذا البناء الحالي الذي لا يستحسنه

Digitized by Birzeit University Library

أولو الصناعة ثم رفعوا جدراناً حول الكنيسة التي بناها الصليبيون وهي كنيسة نصف الدنيا وقد كانت مستندة على اعمدة تسمح للناظر بان يكشف على باقي ابنية الكنيسة بلمحة طرف واقاموا فيها ايقونستاساً جميلاً ثم شادوا فوق كنيسة القبر المقدس قبة لم يحكم المهندس بنيانها فتداعت قبل خمسين سنة وكادت تسقط.

فتلافى اولو الأمر سقوطها وبعد مداولات طويلة اتفقت دول تركيا وفرنسا وروسيا سنة ١٨٦٩ على ان تبني على نفقتها قبة القيامة فأوفدت كل دولة مهندسا لهذه الغاية فنجحوا في مسعاهم تمام النجاح وشادوا تلك القبة الشاهقة الواسعة الجميلة التي يسر لرؤياها الناظر ويقر بها الخاطر وصوروا عليها تصاوير نحيفة اخذت ايدي الدهر تتلاعب بها.

فيظهر مما سبق ان ليس في العالم مكان له شهادات في حقيقة تاريخه اكثر من القبر المقدس والجلجلة. فقد رأينا اهتمام المسيحيين الأولين بالمحافظة عليهما واستخدام العناية الالهية لغايات الوثنيين القبيحة لكي تدمغهما بوسم يمنع المسيحيين من نسيان مركزهما ومنذ اوائل الجيل الرابع لم يبق واسطة لأن يخفيا عن عيون المسيحيين إذ تتابعت عليهما الأبنية بلا انقطاع

Digitized by Birzeit University Library

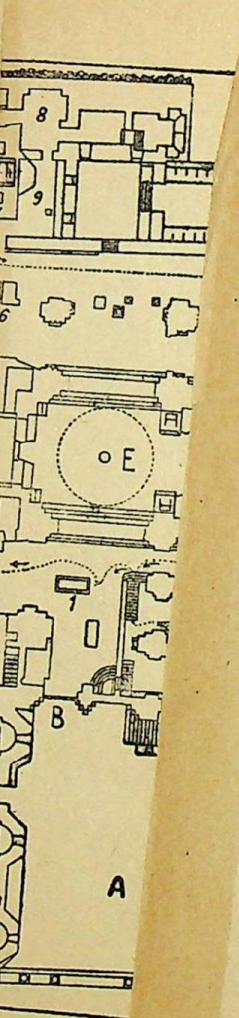

القدس

Digitized by Birzeit University Library

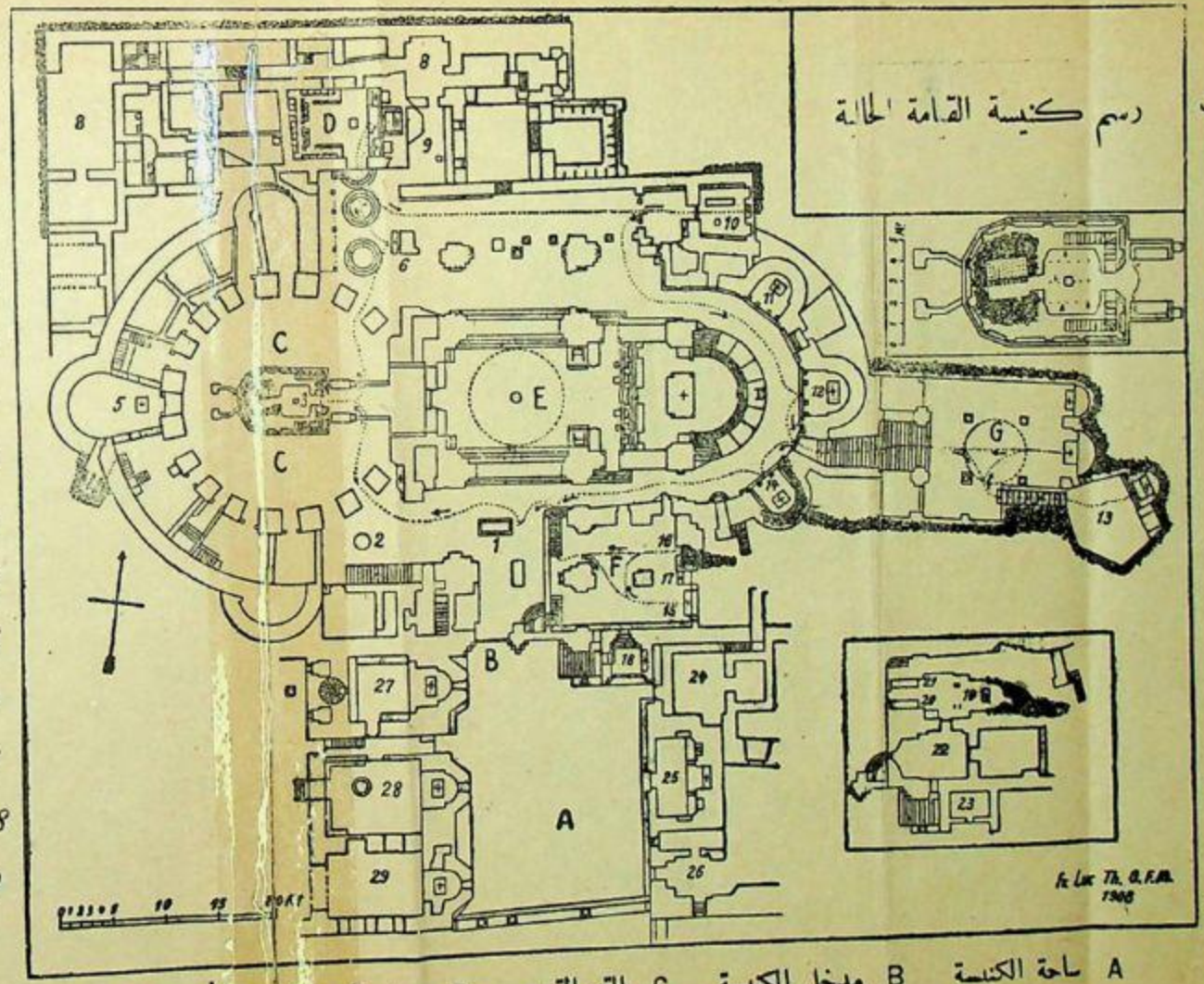

15 محل صلب المسيح
16 محل رفع الصليب
17 مذبح الأم الحزينة
18 معبد الافرنج
19 معبد آدم
20 محل قبور الملوك الصليبيين
21 ديوان لرهبان الروم
22 » » »
23 معبد مريم المصرية
24 كنيسة القديس مخائيل
25 كنيسة القديس يوحنا
26 دير القديس ابراهيم
27 كنيسة الاربعين شهيداً
28 كنيسة القديس يوحنا الحبيب
29 كنيسة القديس يعقوب

حجر الغسل
محل المريمات القديسات
حجرة الملاك
القبر المقدس
القبور المنسوبة الى يوسف الرامي
محل ظهور السيد لمريم المجدلية
مذبح عمود الجلد
دير الآباء الفرنسيسيين
السكرستيا
معبد حبس المسيح
معبد لونجينوس
معبد اقتسام ثياب المسيح
مغارة اكتشاف الصليب
مذبح عمود الهزء والاحتقار

Digitized by Birzeit University Library

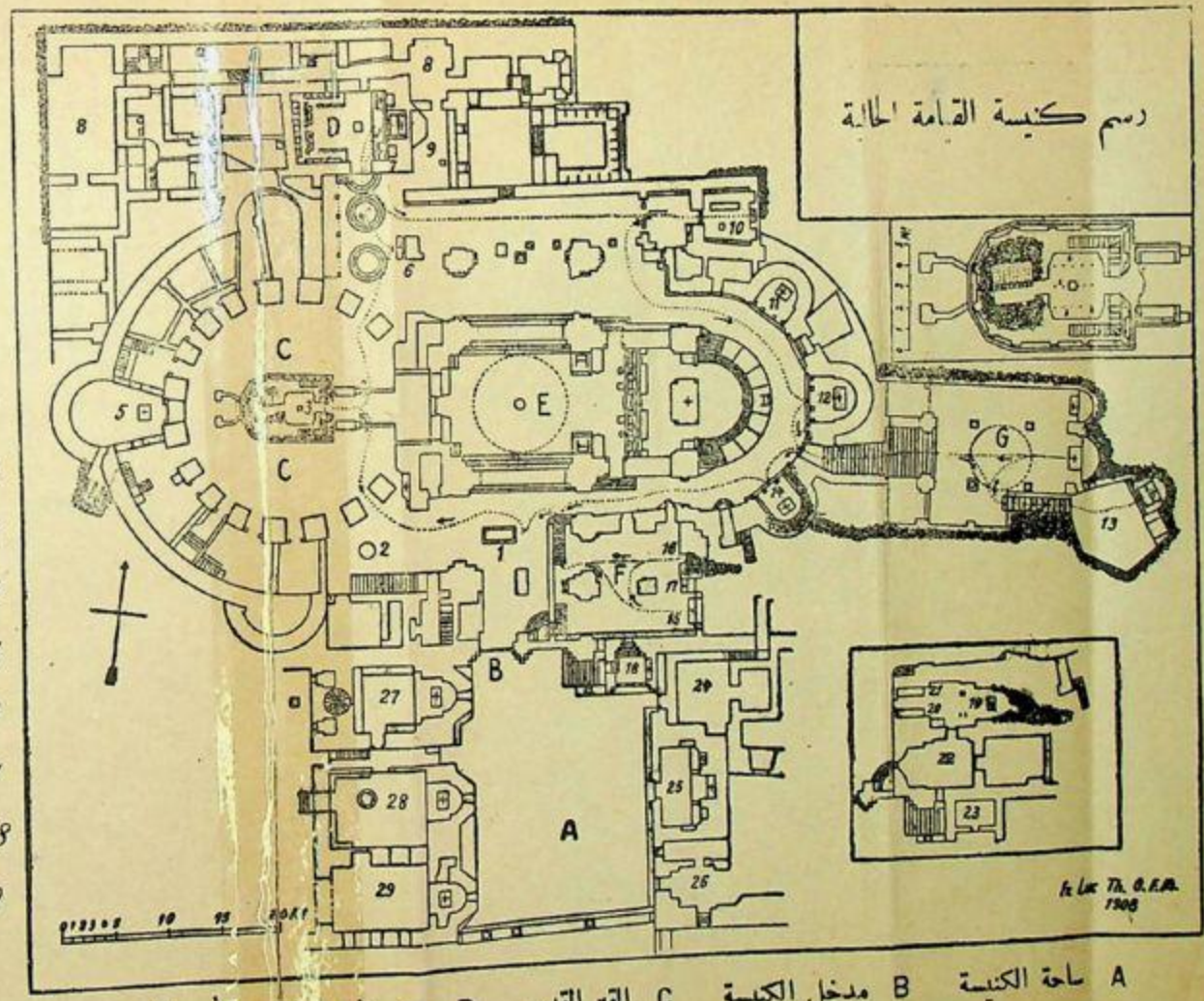

1 حجر الغسل
2 محل المريات القديسات
3 حجرة الملاك
4 القبر المقدس
5 القبور المنسوبة الى يوسف الرامي
6 محل ظهور السيد لمريم المجدلية
7 مذبح عمود الجلد
8 دير الآباء الفرنسيسيين
9 السكرستيا
10 معبد حبس المسيح
11 معبد لونجينوس
12 معبد اقتسام ثياب المسيح
13 مغارة اكتشاف الصليب
14 مذبح عمود الهزء والاحتقار

15 محل صلب المسيح
16 محل رفع الصليب
17 مذبح الأم الحزينة
18 معبد الافرنج
19 معبد آدم
20 محل قبور الملوك الصليبيين
21 ديوان لرهبان الروم
22 » » »
23 معبد مريم المصرية
24 كنيسة القديس مخائيل
25 كنيسة القديس يوحنا
26 دير القديس ابراهيم
27 كنيسة الاربعين شهيداً
28 كنيسة القديس يوحنا الحبيب
29 كنيسة القديس يعقوب

A ساحة الكنيسة B مدخل الكنيسة C القبر المقدس D معبد ظهور المسيح لأمه العذراء

E كنيسة الروم F الجلجلة G كنيسة ال

Digitized by Birzeit University Library

فشيدت فوقها الكنيسة القسطنطينية وعقبها بناء مودسطس ومونوماخوس والصليبيين وترميمات الرهبان الفرنسيسيين والروم فهذه البنايات المتتابعة سحابة ستة عشر جيلاً تنطق ببرهان لا مرد عليه عن حقيقة هذه الاماكن وقداستها .

ولا حاجة الى التنبيه أن اتفاق طوائف الشرق كلها على حقيقة هذه الاماكن لأقوى برهان على صحة ما نقول فهي مع اختلاف كلمتها في أمور شتى تكرّم كلها بصوت واحد موت المخلّص وقيامته المجيدة في كنيسة القيامة . واذا ما شاهدت القدس في ايام الفصح خصوصاً ترى على الدوام كنيسة القيامة غاصة على رحبها بعدد لا يحصى من كل الأمم والشعوب فتشاهد الأمريكانيّ بجانب الآسيويّ والأوربيّ والأفريقيّ وكلهم على اختلاف لغاتهم ينشدون اناشيد القيامة ويتممون نبوءة السيد له المجد القائل : « وأنا اذا ارتفعت عن الأرض جذبت إليّ الجميع . »

اصحاب القبر المقدّس — وفيما ذكرنا لم نتطرق الى البحث الاّ على سبيل الاشارة عمّن له حق التملك على كنيسة القيامة من الطوائف فتلك مسألة عويصة قد نضبت في البحث عنها المحابر وجفت الأقلام على غير جدوى فلا حاجة الى ذكر ما

Digitized by Birzeit University Library

تعلوهما فسيفساء تمثل مشاهد كتابية قد طمس الدهر على شيء من حسنها وقبل ان تدخل الكنيسة ترى عن شمالك برجاً للأجراس مبتوراً ومغطى بالقرميد وعن يمينك معبداً للروم بني تذكاراً لمريم المصرية (١) وفوقه معبد جميل للاتين بني إكراماً للعذراء مريم وللقديس يوحنا الحبيب وله نافذة تطل على الجلجلة وقد قامت مكان باب كان يؤدي اليها.

ولقد يخيب امل الزائر لاول وهلة عندما يلج باب الكنيسة فلا يرى امامه بناية واحدة تجمع كل المعابد في رسم واحد يتسع النظر فيها بل يرى من الجدران الصادة الطرف والأروقة المظلمة والمعابد المتعددة ما يخشى معه التيه والضلال ولكن اذا انعم النظر فيها يجد نظاماً في بنيانها ويستحسن جمالها ومهما ترى عيناه من حسنها وجمالها فان قلبه يطرب لرؤية الجلجلة وقبر

(١) كانت امرأة عاهرة من الاسكندرية وقد زارت مدينة اورشليم سنة ٣٧٣ وبقيت فيها تجاري اهواءها السافلة فارادت يوم عيد رفع الصليب ان تدخل كنيسة القيامة فشعرت بيد خفية تمنعها من التقدم وبحمل باهظ يجعلها ترزح تحت خطاياها فخجلت وندمت على خطاياها ووعدت العذراء مريم امام ايقونتها المعلقة في ذاك المكان بان تتوب وتكفر عن ذنوبها فاستجابت العذراء طلبها فتمكنت من الدخول وسجدت للصليب وفي اليوم الثاني ذهبت الى القفر وراء الاردن وقضت هناك ٤٨ سنة ممارسة افعال التوبة

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

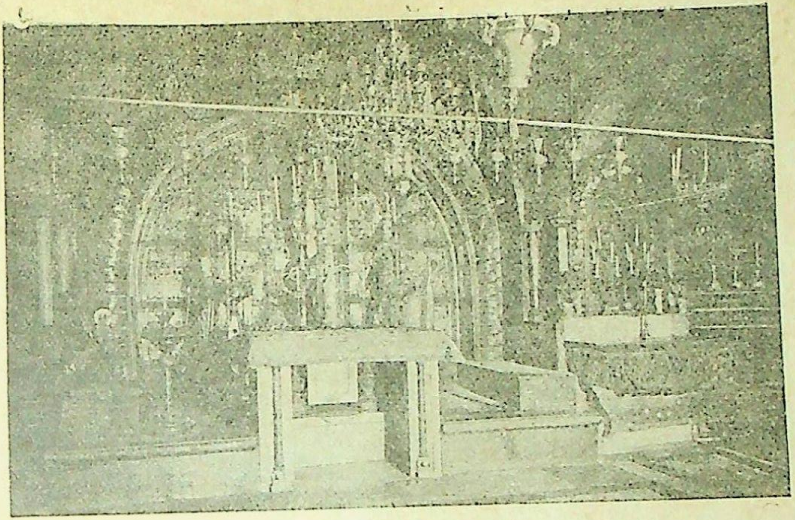

جبل الجلجلة حيث رُفع يسوع مصلوبًا

Digitized by Birzeit University Library

الفادي الالهي ومغارة الصليب وها نحن نصف هذه الامكنة الثلاثة كما هي في حالتها الحاضرة ونذكر تتمة للفائدة ما يجاورها من المعابد مع الاشارة الى التذكارات الانجيلية والتقاليد المقدسة واليك رسماً يعينك على زيادة فهم ما نصفه .

١ الجلجلة — واول ما يدخل الزائر الى الكنيسة يرى عن يمينه درجاً عاوه اربعة امتار ونصف يؤدي الى الجلجلة وهي كنيسة مظلمة لا يشق ظلمتها الا نور المصابيح الضئيل ويسود عليها من الهيبة والسكون ما يدعو الزائر الى التقوى والخشوع وقد بنيت شكل مربع يقسمه دعامتان ضخمتان الى قسمين متساويين فالمعبد الجنوبي وهو على يمينك للآتين وترى في وسط ارضه امام نافذة تطل على معبد يوحنا الحبيب رسم دائرة تذكرك بتعرية السيد المسيح من ثيابه قبل صلبه . وفي الصدر هيكل نحاسي عار من ضروب الزينة ومصطبغ بلون الحداد ففي هذا المكان عُلق المخلص على الصليب فثقبت يداه ورجلاه بالمسامير وسال دمه الاطهر بغزارة وبجانبه هيكل صغير متلألئ نوراً عليه تمثال العذراء وحوله تتقادم المؤمنين الثمينة ونذورهم فهنا كانت العذراء واقفة مع التلميذ الحبيب امام الصليب وسمعت ابنها الالهي يقول لها يا امرأة هوذا ابنك » وللتلميذ « هذه ا

أن يوحنا الحبيب كان يمثل في هذه الحالة جميع المؤمنين الذين اصبحوا منذئذ اولاداً بالتبني لمريم العذراء . وهنا ايضاً حملت مريم في حضنها ابنها الالهي ماثلاً بعد ما انزلوه عن الصليب .

والقسم الثاني للروم ترى صدره مصفحاً بالايقونات الفضية وعليه صورة المسيح مصلوباً تحتاطها صورة العذراء مريم والتلميذ الحبيب وامامها مذبح جميل بين اعمدته حفرة في صخرة ففيها غُرس الصليب المكرم الذي مات عليه المسيح . ففي هذا المكان ذاق الخلاص كل ما يذكره الانجيل المقدس من الآلام فاحتمل تجديف المجتازين وهزء رؤساء الكهنة وتعيير المصلوبين معه وشرب خلاً ومرارة وصرخ بصوت عظيم : « الهي الهي لماذا تركتني » ثم نادى بصوت عظيم « يا ابتِ في يديك استودع روحي » وامال رأسه واسلم الروح فأخذت الارض تتزلزل والصخور تتشقق والقبور تنفتح حتى اقر قائد المائة قائلاً في الحقيقة كان هذا الرجل ابن الله . واذا اردت ان ترى الى الان آثار تلك العجائب فانظر من عن يمين المذبح الى الصخرة المتشققة تحت صفيحة فضية والمسها بيدك فهو تشقق كبير عمقه اكثر من متر ونصف ينفذ الى المغارة التي تحت الجلجلة المدعوة معبد آدم وهو مخالف في حزوزه لكل نواميس الطبيعة وقد اقر به علماء

Digitized by Birzeit University Library

حمل الحجارة حيث ضل اسبوع — مزعج الا الموت

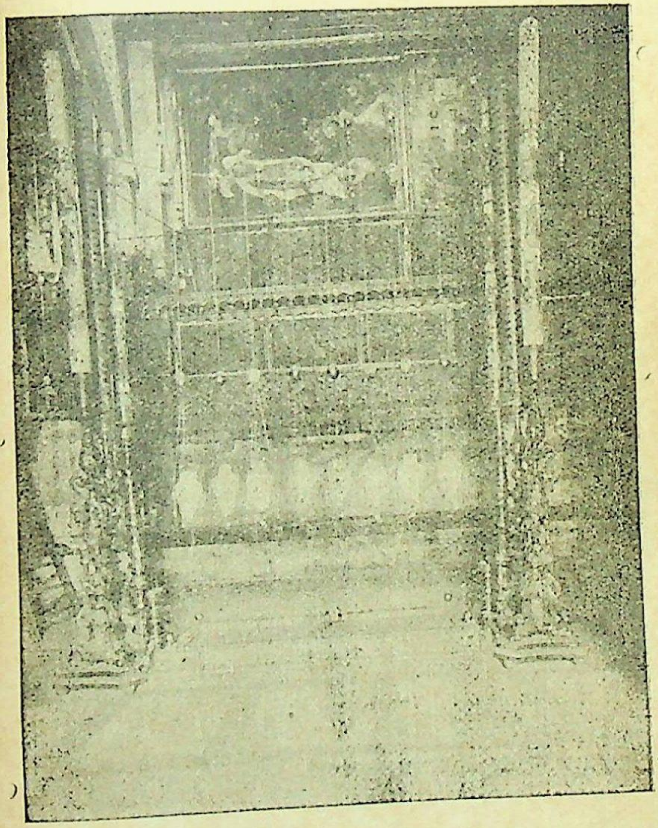

حجر الغسل

Digitized by Birzeit University Library

طبيعيون كثيرون فآمنوا وذكر القدّيس كيرلس في الجيل الرابع قال: « اذا اراد احد ان ينكر موت المسيح فإنه يرى بطلان قوله برؤية الجلجلة فهي تثبت لك وتريك الى الآن الصخور المتشققة (١) » وقبل ان يفارق الزائر الجلجلة يحلو له ان يقضي فيها ساجدا بضع دقائق من الذ اوقات حياته فيها يشكر له تعالى نعمة فدائه ويبكي على خطاياه ويقدر قيمة نفسه حق قدرها لانها ثمن دم المسيح ثم ينهض ممتلئاً نشاطاً وقوة مستعداً لحمل صليبه في هذه الحياة اقتداء بفاديه الالهي .

٢ حجر الغسل — ثم تنزل من الجلجلة على درج آخر شمالي فتجد تجاهك بلاطة طويلة حمراء مزينة زواياها بتفاحات مذهبة وعليها المصابيح الثمينة وحولها الشماعدانات الكبيرة وهي للروم واللاتين والأرمن ففي هذا المكان بين الجلجلة والقبر المقدّس وضع يوسف ونقودمس جسد السيد المسيح بعد ما انزلاه من الصليب فغسلاه ولفاه في لفائف كتان مع حنوط من مرّ وصبر نحو مائة رطل (٢) وقد حضر هذا التحنيط أمّ يسوع والنساء القديسات واصحابه فقبلوه وودّعوه بدموعهم قبل ان يواروه في القبر الجديد .

(١) تعاليم القديس كيرلس الكتاب الاول : عدد ٦

(٢) يوحنا ف ١٩ عدد ٣٩

Digitized by Birzeit University Library

٣ محل المريمات القديسات — ثم تتجه الى القبر المقدس على مسافة اثني عشر متراً فتجد في جهة الرواق المجانبة دير الارمن حجراً مستديرا نصب فوقه هيأة قفص حديدي فهنا على ما يقال وقفت المريمات القديسات لينظرن يسوع حين يعلقاً على الصليب .

٤ القبر المقدس — وبعد ما تجتاز هذا الرواق ترى على يمينك القبر المقدس وهي كنيسة رحبة مستديرة حولها الدعائم المتينة وفوقها الاقواس العالية وعليها طابقان يكللهما قبة واسعة شاهقة قطرها عشرون متراً . ففي وسط هذه الدائرة قبر الخلص الفادي ومحل انبعاثه وهو بناء مستطيل طوله ثمانية امتار ونصف في خمسة امتار عرضاً وعلواً وهو مربع شرقاً ومخمس الزوايا غرباً وكله مصفح بالرخام الاحمر وعليه الاعمدة الرفيعة مستديرة ومربعة ويكلله جناح (درابزين) حجري مخيف والواجهة مزدانة بالمصابيح العديدة والشماعدانات الكبيرة وبثلاثة صُوَر لطوائف اللاتين والروم والارمن وامام كل منها قنديل . وداخل البناء يقسم الى قسمين الى معبد الملاك وهو حجرة القبر القديم الخارجية او الدهليز والى القبر المقدس وهو الحجرة الداخلية وسمي القسم الاول معبد الملاك لان فيه بشر ملاك الرب النساء القديسات

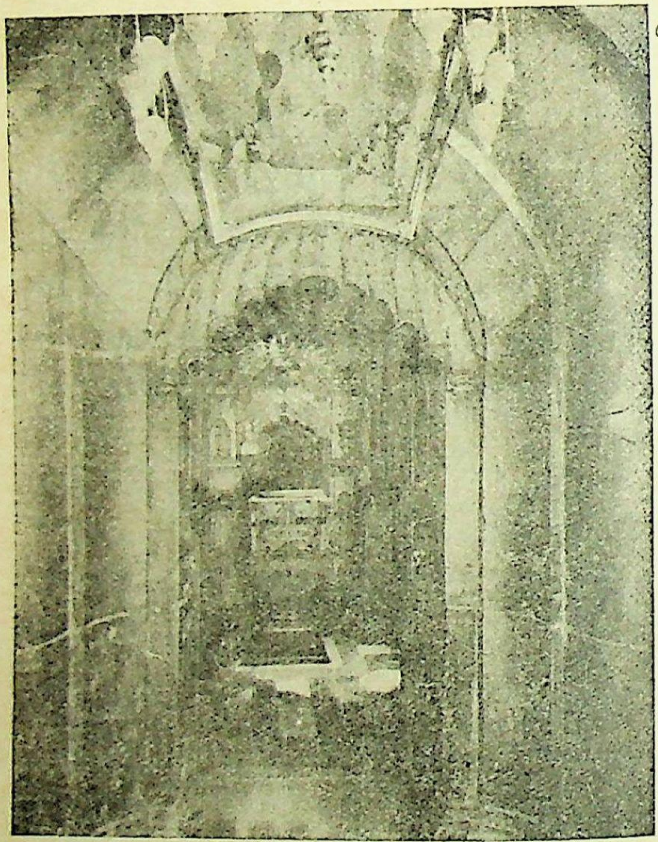

معبد الملاك

Digitized by Birzeit University Library

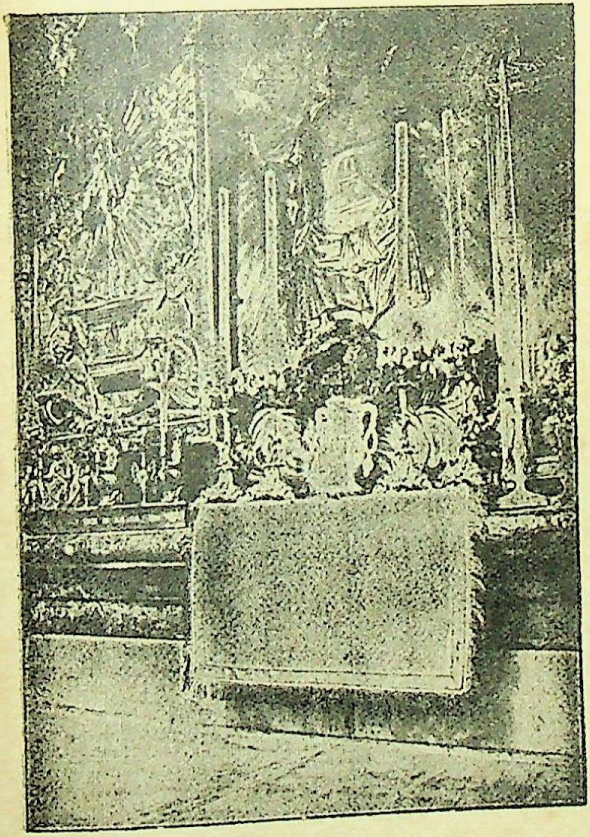

قبر يسوع مخلص البشر

Digitized by Birzeit University Library

بقيامة المخلص قائلًا : ليس هو ههنا قد قام كما قال . وفي وسطه عمود صغير من الرخام فيه جزء من الحجر الذي دحرجه الملاك وجلس عليه . ومساحة هذا المعبد نحو تسعة امتار مربعة ويتدلى من سقفه مصابيح عديدة تضيء على الدوام وفي جداريه الشمالي والجنوبي كوتان يخرج منهما الروم النار في حفلة سبت النور . وفي صدر هذا المعبد باب صغير مقوس له متر وربع طولاً وثلثا المتر عرضاً فهو يؤدي بك الى حجرة مساحتها نحو اربعة امتار وهي كلها مغطاة بالرخام وفيها تضيء المصابيح الفضية العديدة وقد بقيَ الى الان من صخرة المغارة القديمة صخرة القبر مرتفعة الى علوّ ٦٦ سانتمترًا وجزء من الجدران الملتصقة بها في علوّ متر ونصف فاجث راكعًا امام صخرة هذا القبر لان فيه وُضع رفات السيد المسيح . وبعد ما مكث المخلص في هذا القبر ثلاثة ايام قام بذات سلطانه وكسر شوكة الموت بينما الحراس يرتعدون . فهو مكان عزيز على قلب كل مسيحيّ لان بقيامة الرب ثبتت للعالم الوهيته وتأيدت ديانته واصبحت قيامته عربون قيامة الاموات . فكم من دمعة تساقطت فيه من عيون الزائرين وكم من صلاة حارة تصاعدت منه وكم من نعمة انسكبت عليهم فيه فخرجوا منه وقلبهم مستعر حبًا بمن قبل الموت والدفن لاجل خلاصهم وارادتهم مطوية على ان يموتوا

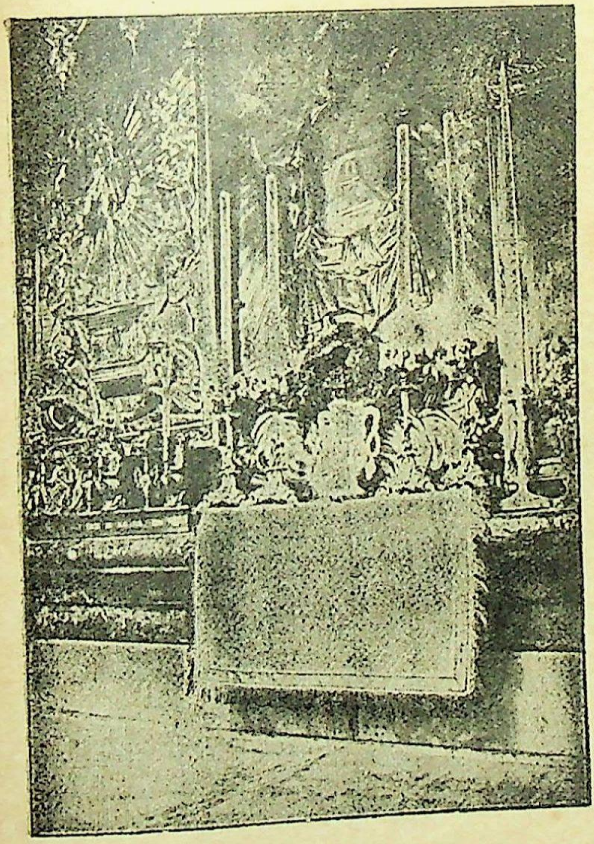

قبر يسوع مخلص البشر

Digitized by Birzeit University Library

بقيامة المخلص قائلًا : ليس هو ههنا قد قام كما قال . وفي وسطه عمود صغير من الرخام فيه جزء من الحجر الذي دحرجه الملاك وجلس عليه . ومساحة هذا المعبد نحو تسعة امتار مربعة ويتدلى من سقفه مصابيح عديدة تضيء على الدوام وفي جداريه الشمالي والجنوبي كوتان يخرج منهما الروم النار في حفلة سبت النور . وفي صدر هذا المعبد باب صغير مقوس له متر وربع طولاً وثلثا المتر عرضاً فهو يؤدي بك الى حجرة مساحتها نحو اربعة امتار وهي كلها مغطاة بالرخام وفيها تضيء المصابيح الفضية العديدة وقد بقي الى الان من صخرة المغارة القديمة صخرة القبر مرتفعة الى علو ٦٦ سانتمترًا وجزء من الجدران الملتصقة بها في علو متر ونصف فاجث راكعًا امام صخرة هذا القبر لان فيه وُضع رفات السيد المسيح . وبعد ما مكث المخلص في هذا القبر ثلاثة ايام قام بذات سلطانه وكسر شوكة الموت بينما الحراس يرتعدون . فهو مكان عزيز على قلب كل مسيحي لان بقيامة الرب ثبتت للعالم الوهيته وتايدت ديانته واصبحت قيامته عربون قيامة الاموات . فكم من دمعة تساقطت فيه من عيون الزائرين وكم من صلاة حارة تصاعدت منه وكم من نعمة انسكبت عليهم فيه فخرجوا منه وقلبهم مستعر حبًا بمن قبل الموت والدفن لاجل خلاصهم وارادتهم مطوية على ان يموتوا عن الاهواء السافلة والخطايا لكي يقوموا ويحيوا مع المسيح .

Digitized by Birzeit University Library

٥ كنيسة الروم — وبعدما تخرج من القبر المقدس تجد امامك كنيسة الروم وهي مبنية فوق بستان يوسف الرامي لتكون واسطة عقد بين القبر المقدس والجلجلة ومغارة الصليب وهي جميلة البناء مرتفعة الخنايا تعلوها قبة مستديرة شاهقة محاطة بالنوافذ المتدفقة منها الانوار وفيها ايقونستاس عالٍ زاهٍ بالصور البزنطية ومموه بالذهب وامامه اربعة شماعدانات كبيرة جميلة ذات قواعد رخامية ويتدلى من سقفها الثريات الثمينة وعليها من ضروب الزينة ما تزدان به ابهى الكنائس الشرقية.

ولا عجب في ذلك فانها مقام الكرسي البطريركي الاورشليمي وفيها تجري الحفلات الدينية عند الروم الارثوذكس وتجد في وسط صحن الكنيسة هيأة كأس عليها كرة حجرية تشير الى ان الكنيسة في وسط الارض استناداً الى نص المزامير القائل: خلاصاً صنعت في وسط الأرض (١) ولذا سموا الكنيسة بكنيسة نصف الدنيا ولكن في هذا التأويل ما لا يخفى من المبالغة في التمسك بالمعنى الحرفي لمن يعتبر ان الارض كروية وان وسط الارض في كل جزء منها.

٦ محل ظهور الرب لمريم المجدلية — ثم ترجع تحت قبة القيامة فتتجه على يمينك تحت الرواق الشمالي المؤدي الى

(١) المزمور ٧٤ عدد: ١٢

Digitized by Birzeit University Library

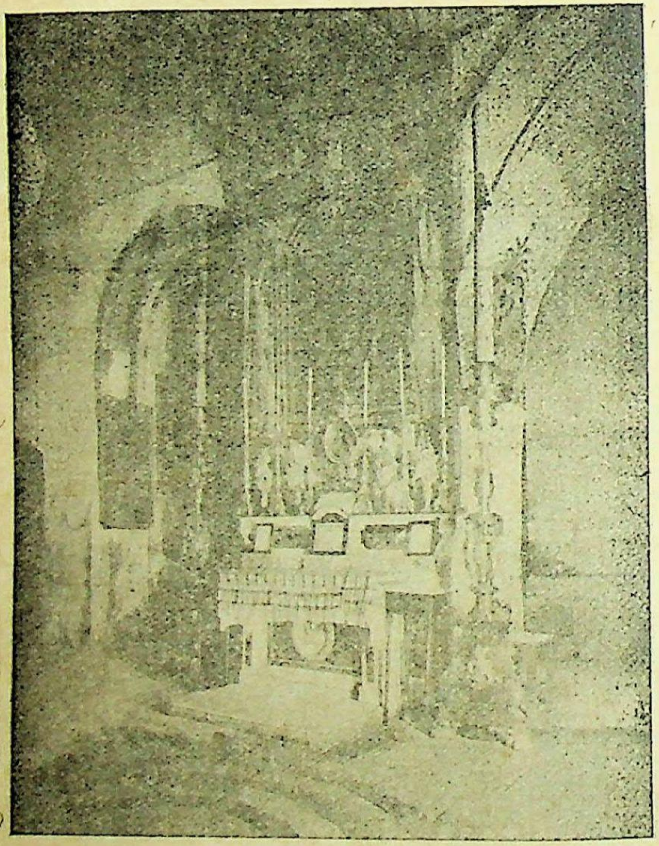

معبد مريم المجدلية

Digitized by Birzeit University Library

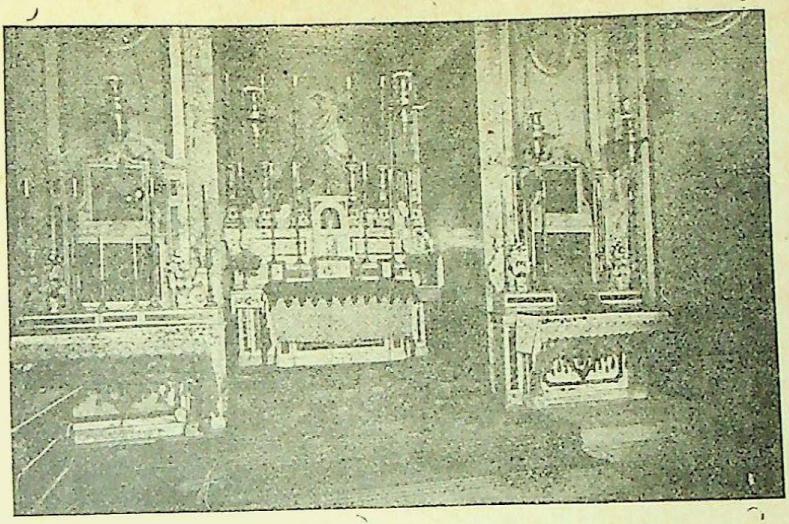

كنيسة الظهور الالهي لأمهِ العذراء

Digitized by Birzeit University Library

كنيسة الفرنسيسكان فتجد في وسطه مذبحاً للاتين بني اكراماً لظهور السيد المسيح بعد قيامته لمريم المجدلية . فان الانجيل المقدس يعرّفنا ان مريم كانت تبكي بالقرب من القبر لعدم وجودها جسد الرب فيه ثم نظرت الى خلفها فرأت يسوع واقفاً ولم تعلم انه يسوع فقال لها لمَ تبكينَ من تطلبين فظنّت انه البستاني فقالت له ياسيدي ان كنت انت حملته فقل لي اين وضعته وانا آخذه فقال لها يسوع « مريم » فالتفتت وقالت له « رابوني الذي تفسيره (يا معلم) فقال لها يسوع (لا تلمسيني لاني لم اصعد بعد الى ابي (١)

٧ محل ظهور السيد المسيح لامه العذراء — وفي صدر هذا الرواق كنيسة جميلة للاباء الفرنسيسين مجاورة لديرهم شيدت في الجيل التاسع اكراماً لظهور السيد المسيح لوالدته وليس لهذه الرؤيا ذكر في الانجيل المقدس ولكن تقليداً قديماً يثبته الاباء القديسون يذكران البتول لم ترد ان تفارق ابنها الالهي بعد موته فمكثت في بيت البستاني الذي كان ليوسف الرامي وهناك ظهر السيد له المجد لأمه العذراء قبل الجميع ليعزيها عن كل ما قاسته من احزان صلبه وموته .

وفي هذا المعبد قطعة من العمود الذي ربط عليه المخلص في دار قيافا.

(١) القديس يوحنا ف ٢٠ عدد: ١١ — ١٣

وهذه القطعة من الرخام البرفيري طولها نحو ذراع وهي ورآء شعرية من حديد على يمين المذبح تعرض على المؤمنين يوم اربعاء الآلام فيكرمونها بقبلاتهم .

٨ اربعة معابد في خلايا الاروقة — بقي ان تتجه الى كنيسة الصليب ماراً بالرواق المظلم الذي تراه على شمالك عند خروجك من كنيسة الفرنسيسكان فترى اولاً سبعة اقواس مستندة على اعمدة جميلة قد بقيت من البناء القسطنطيني ثم تشاهد في مسيرك اربعة معابد بنيت تذكاراً لآلام المخلص في الاجيال المتوسطة وهي معبد حبس المسيح ومعبد القديس لونجينوس « وهو الجندي الذي طعن جنب يسوع بحربة وآمن به عند مشاهدة العجائب ومات شهيداً » وهذان المعبدان لليونان ثم معبد اقتسام ثياب المخلص وهو للارمن وبين هذا المعبد والمعبد الرابع اليوناني المشيد تذكاراً لآلام المخلص درج عميقة تهبط بك الى كنيسة الصليب .

٩ كنيسة الصليب — وبعد ان تنزل تسعة وعشرين درجة تجدك في كنيسة للارمن خالية من الزينة لها عشرون متراً طولاً في ثلاثة عشر عرضاً وفيها ستة اعمدة ضخمة ذات تيجان مختلفة النقش تقسمها الى ثلاث

Digitized by Birzeit University Library

Digitized by Birzeit University Library

كنيسة الصليب

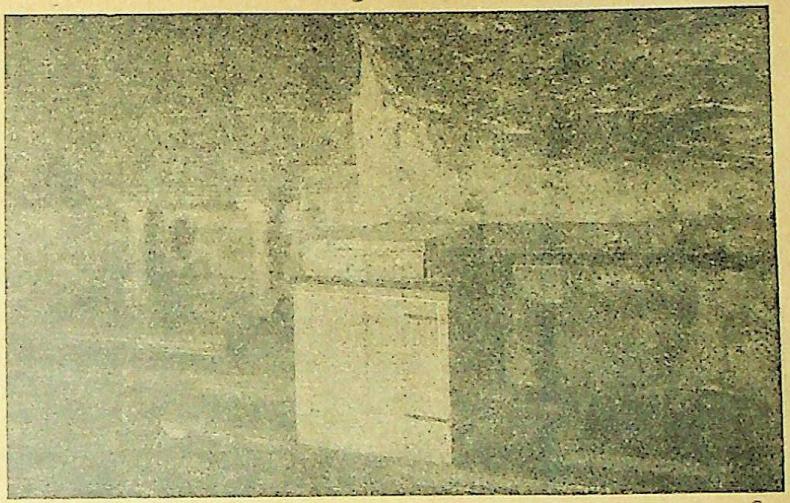

مغارة اكتشاف الصليب المقدس

Digitized by Birzeit University Library

سطحها في وسط دير الحبش وفي صدرها مذبح شيد تذكارا للقديسة هيلانة وعلى يمين الهيكل طاقة كانت الملكة على ما يقال تشارف منها الحفر في البئر التي تطل عليها وكان لهذه الكنيسة شأن عظيم في الاعصر السالفة لأن عليها شيدت الكنيسة القسطنطينية الشهيرة المدعوة (الشهادة) . ثم تنزل من عن يمينك في درج قديمة في الزاوية الجنوبية الشرقية الى مغارة الصليب وهي منقورة في الصخر ولها سبعة امتار طولا وعرضا وعلوها خمسة امتار وترى في الجهة اليمنى بلاطة للروم عليها رسم الصليب ومن الجهة اليسرى مذبح رخامي للاتين عليه تمثال القديسة هيلانة معانقة الصليب . ففي هذه المغارة اكتشفت القديسة هيلانة الصليب الكريم وميزته بين صليبي اللصين بالطريقة العجيبة المذكورة آنفا .

وانا نقف عند هذا الحد عن تاريخ كنيسة القيامة ووصفها الحالي وقد تجنبنا ما امكننا التطويل الممل والايجاز المخل . فحسبك ايها المسيحي الورع في هذه النبذة ما يزيدك يقينا في حقيقة تاريخ محل فدائك ويعينك على حسن زيارته . ولا شك في ان تتبعك لآثار فاديك يعينك على اقتفاء امثاله واذا اتبعته تجد الطريق والحق والحياة .

Digitized by Birzeit University Library

فهرس

كنيسة القيامة

١ — تاريخها

	وجه
مقدمة	٠٣
نظرة عامة	٠٥
هيأة الجلجلة والقبر المقدس الاصلية	٠٧
مطابقة بين وصف الانجيل المقدس وكنيسة القيامة	٠٩
محافظة المسيحيين الاولين على الجلجلة والقبر المقدس منذ قيامة الرب الى ايام قسطنطين الملك	١١
كنيسة القيامة على عهد قسطنطين سنة ٣٣٥	١٥
زيارة القديسة هيلانة للاماكن المقدسة	١٥
وصف الكنيسة القسطنطينية	١٧
الحفلات الدينية في الكنيسة القسطنطينية	٢٣
هدم الفُرس الكنيسة القسطنطينية سنة ٦١٤	٢٥
وصف بناء مودسطس	٢٧
حفلة سبت النور	٢٩
هدم الحاكم كنيسة القيامة سنة ١٠٠٩ .	٣٥

Digitized by Birzeit University Library

وجه
كنيسة القيامة على عهد مونوماخوس ١٠٨٤-١١٣٠ ٣٧
القبر المقدس وتوابعه ٣٨
الجلجلة وتوابعها ٣٩
كنيسة القيامة على عهد الصليبيين سنة ١١٣٠ ٣٩
كنيسة القيامة من عهد الصليبيين الى ايامنا ٤١
اصحاب القبر المقدس ٤٥

٢ — وصف كنيسة القيامة الحالية

الجلجلة ٤٩
حجر الغسل ٥٢
محل المريمات القديسات ٥٢
القبر المقدس ٥٢
كنيسة الروم ٥٤
محل ظهور الرب لمريم المجدلية ٥٥
محل ظهور السيد المسيح لامه مريم العذراء ٥٦
اربعة معابد فى حنايا الاروقة ٥٦
كنيسة الصليب ٥٦

مكتبة جامعة بيرزيت الرئيسية
Digitized by Birzeit University Library

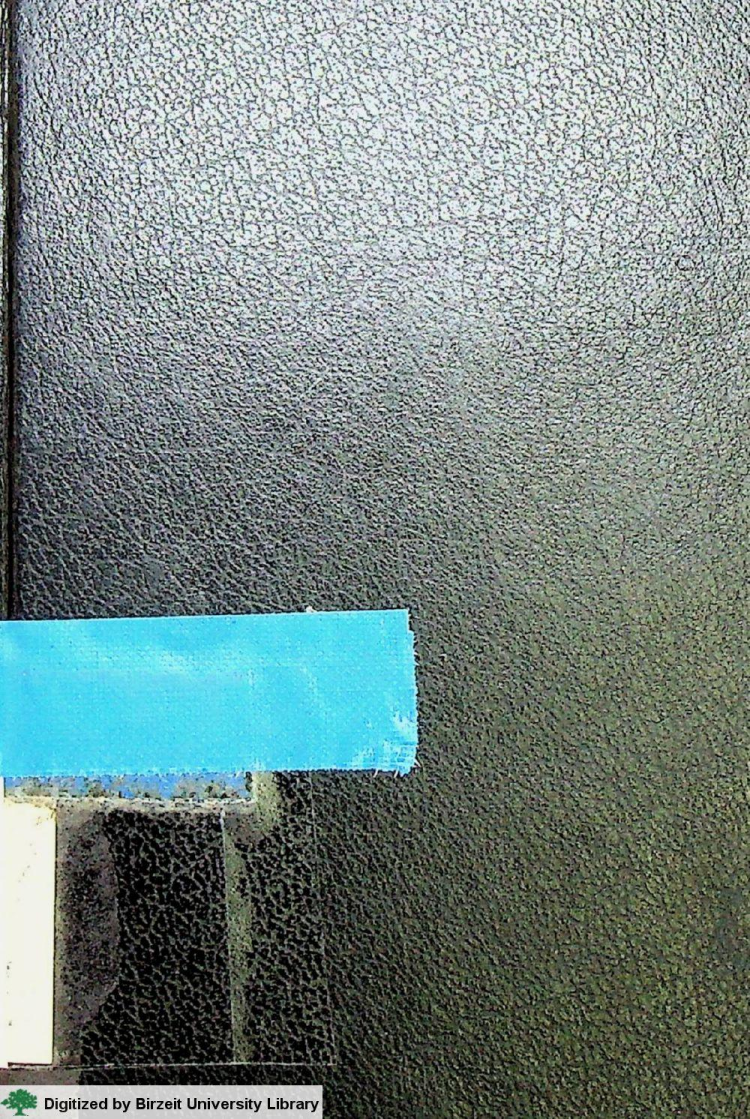

Digitized by Birzeit University Library